وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـامعة عبد الحميد بن بـاديس - مستغانـم-

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم علم الاجتماع

شعبة علم الاجتماع

لوحظ على الأستاذ
المشرف بتاريخ 2020-09-29

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع الحضري

الكتـــابـــات الجـــــدارية
دراسة ميدانية - مستغانم -

تخصص علم الاجتماع الحضري

من إعداد الطالب :
جلال محمد

تحت إشراف الأستاذ :
طيب ابراهيم

جامعة مستغانم
شعبة علم الاجتماع
كلية العلوم الاجتماعية

السنة الجامعية 2019-2020

أهدي عصارة جهدي و صراعي مع الليالي إلى

من أنارت طريقي بدعواتها، إلى من رافقت دربي لاو أغرقت قلبي بحنانها ..

أمي الحنون..

إلى الآمر الناهي في دنياي إلى واضع حجر الأساس في بنياي ..

أبي العزيز..

إلى أخواتي الأعزاء و أبنائهم.

إلى روح جدي العزيز " مقيدش الميلود " رحمه الله.

إلى كل الأهل و الأقارب والجيران و كل من يحمل لقب " جلال ".

إلى جميع أصدقائي خاصة طلبة علم الاجتماع الحضاري.

كما لا أنسى أعضاء جمعية نـــــداء الخـــــير حـــــجاج.

الحمد لله رب العالمين

معلم الأولين والآخرين، والحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فإن ظن أنه علم فقد جهل.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المؤطر: "علي طيب إبراهيم".

كما نتقدم بالشكر إلى السيد عبدالقادر سعدون.

تشكراتنا إلى كل أساتذة العلوم الاجتماعية و الإنسانية.

و إلى كل من ساعدنا من قريب و بعيد

لإنجاز هذه المذكرة.

إهداء

تشكرات

فهرس الموضوعات

مقدمة عامة.....أ/ب

منهجية الدراسة.....2/1

دوافع اختيار الموضوع.....3/2

صعوبات البحث.....4/3

المفاهيم.....6/4

الفصل الأول : الكتابات الجدارية ماضيها وراهنها....7

1- تعريف الكتابات الجدارية.....8/9

2- الجذور التاريخية للكتابات الجدارية.....12/10

3- الكتابات الجدارية في العالم.....19/13

4- الكتابات الجدارية في الوطن العربي.....22/19

5- عوامل ظهور الكتابات الجدارية.....29/23

6- المقاربات المهتمة بدراسة ظاهرة الكتابات الجدارية.....30/30

الفصل الثاني: المدينة كفضاء غرافيتي....31

1- ماهية المدينة كفضاء حضاري.....33/32

2- ممارسو الغرافيتي و أهم الأماكن الكتابية.....35/34

3- الأماكن العامة للغرافيتي.....38/36

4- المؤسسات التعليمية.....39/39

5- أشكال الكتابات الجدارية.....42/40

6- أنواع الكتابات الجدارية.....43/42

7- مواضيع الغرافيتي والأدوات المستخدمة.....48/43

8- أسباب تنامي ظاهرة الكتابة الجدارية في الفضاءات الحضرية.....51/49

الجانب الميداني للدراسة

الفصل الثالث: الغرافيتي والمدينة.....52

1- شخصيات متعددة و ممارسة واحدة..... 53/53

2- الأماكن المفضلة للكتابة.....54/54

3- الأدوات المستخدمة.....55/55

4- خصوصية المضامين و اختلافها.....58/56

5- الرسم داخل الفضاء الحضاري.....59/59

6- الكتابة الجدارية بين المرغوب و الممقوت.....61/60

خاتمة.....64/62

الملاحق.....78/65

المراجع.....87/79

المقدمة العامة

تتعدد الظواهر الاجتماعية تعدد الواقع نفسه و بذلك هي تختلف من مجتمع لآخر و من حقبة زمنية لأخرى، تساير الظواهر الاجتماعية الكثير من التغيرات التي تطرأ على المجتمع سواء كانت هذه التغييرات ثقافية اجتماعية أو سياسية، تبقى الظواهر الاجتماعية ممتدة و لها جذور تاريخية تعود للعصور الأولى من الحياة البشرية كالكتابة المتأصلة في عمق التاريخ، حيث شهدت البشرية ممارستها في الكهوف و المغارات و الشواهد على ذلك كثيرة كما هو الحال عندنا في الطاسيلي، كما نجد أيضا اللوحات الجدارية في الكنائس و النصب التذكارية و فنون الزخرفة و العمارة.

وبحلول السبعينيات في الولايات الأمريكية برزت للوجود ظاهرة الكتابة من جديد في شكل "الغرافيتي" بمعناه المعاصر الذي يشهد من استخدام جدران المدينة للتعبير عن مضامين مختلفة، ثم ما لبثت أن انتقلت إلى أوربا في الثمانينات لتعم مدن العالم ابتداء من التسعينات كتجل لظاهرة العولمة.

يهدف بحثنا هذا لتسليط الضوء على ظاهرة الغرافيتي محليا و انطلاقا من واقع مدينة مستغانم، خاصة و أن انتشار الغرافيتي في المدن الجزائرية ماثلا للعينات و بوضوح، يبقى أن موضوع الغرافيتي سبق تناوله من طرف باحثين و في مستويات بحثية متباينة من حيث التخصصات و الأهداف.

نجد من بين الذين تناولوا هذه الدراسة محليا هناك دراسة في الماجستير تخصص علم اجتماع الاتصال لكريم محمد[1] تحت عنوان الكتابات الجدارية دراسة سوسيولوجية بمدينة مستغانم و التي يبحث من خلالها عن مضامين هذه الكتابات و مكانة محرريها من حيث قنوات الاتصال، حيث يحلل مجموعة من الصور الغرافيتية و توصل إلى أن هذه الكتابات

[1] – كريم محمد ، الكتابات الجدارية دراسة سوسيولوجية بمدينة مستغانم رسالة ماجستير في علم الاجتماع و الاتصال، جامعة عبدالحميد ابن باديس مستغانم2012/2011.

ذات دلالات سياسية واقتصادية و اجتماعية و رياضية ناتجة عن ظروف و أحداث وقتية حياتية و التي تحمل هموما متعلقة بتحسين أوضاع الشباب (كالشغل والهجرة والمطالبة بالسكن .....وغيرها)

في حين ركزت هذه الدراسة على المضامين، نحاول تجاوز الدلالات إلى عالم الفاعلين والمتلفين، وهناك دراسة أخرى تناولت ظاهرة الغرافيتي للباحثة "عامر نورة"[1] تحت عنوان التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية وهي دراسة وصفية تحليلية والتي راحت تبحث عن جملة من التصورات الاجتماعية لهذه الكتابات و استعملت فيها تقنية جديدة و مستحدثة و هي شبكات التداعيات للتصورات الاجتماعية على 26 صورة مأخوذة من الشرق الجزائري (سطيف، قسنطينة ،ميلة) وهي دراسة ذات مقاربة نفسية اجتماعية بوصفها عنفا رمزيا وذلك بتحوله من النمط المادي إلى الرمزي، وتوصلت إلى أنها تحمل تصورات عن العنف و تعبر عن المشاكل النفسية و العاطفية و العائلية وأخرى لها تأثير بالثقافة الغربية والمشاكل داخل المدينة بنسب متفاوتة.

تتميز المقاربة النفسية الاجتماعية بقدرة على سبر أغوار نقاط التداخل بين علم الاجتماع و علم النفس، كما أن استخدام الصور أضفى بعدا واقعيا على هذه الدراسة لكن نوعية النتائج المتحصل عليها تشتت الانتباه لتراوحها بين التأثر بالغرب و المشاكل الحضرية كما النفسية لذلك نحاول أن نحدد مجالا محصور لنصل إلى نتائج واضحة حول ما يربط الغرافيتي بالمدينة.

[1]– عامر نورة ، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس و علوم التربية –تخصص علم النفس الاجتماعي– جامعة الإخوة منتوري قسنطينة2006/2005.

حيث قامت الباحثة "جبار كنزة"[1] بدراسة اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية و قد شملت مجموعة من التساؤلات تمثلت في طبيعة هذه الاتجاهات و هل تختلف باختلاف متغير الجنس و التخصص و تكونت عينة الدراسة من 154 طالب، و حسب الاختصاص توزعت على ثلاثة تخصصات، العلوم الطبيعية و الحياة – و العلوم الاقتصادية و التجارية – و العلوم الاجتماعية، و استخدمت المنهج الوصفي التحليلي و توصلت إلى أن اتجاهات الطلبة أقرب إلى السلبية نحو هذه الكتابات و عدم وجود أية فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير الجنس و التخصص، و اللافت للانتباه في نتائج هذه الدراسة عدم وجود رابط مباشر من خلال عدم تحقق الدلالة الإحصائية بين متغير التخصص الجامعي و الكتابة الجدارية، لذلك نسعى لفهم دوافع الكتابة داخل المجال الحضري بعيدا عن أي تميز بين السن و الجنس و التخصص الدراسي.

الأطروحات السابقة حول موضوع الكتابات الجدارية تؤسس لنوع من التنوع و الثراء المعرفي، لكننا نبحث تغطية جانب مغاير لما تتناوله تلك الدراسات، نحاول في بحثنا هذا التركيز على الغرافيتي في علاقتها مع الواقع الحضري من هذا المنطلق نتساءل حول خلفية اللجوء إلى استخدام جدران مدينة مستغانم للتعبير عبر الغرافيتي؟ و عن الطريقة التي تتمثل بها؟.

* **الفرضيات:** – تتحول الجدران داخل المدينة إلى سند مادي للتعبير عبر أشكال متنوعة من الانشغالات.

– تستخدم الكتابة الجدارية كوسيلة تعبيرية فنية لجمهور معين.

–هناك اختلاف وتباين حول تمثل سكان مستغانم للكتابات الجدارية.

[1]– جبار كنزة ، إتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية ، رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة محمد خيضر بسكرة 2014/2013.

*** منهجية الدراسة:**

يقوم البحث العلمي على ركن أساسي هو انتاج المعرفة العلمية، وانطلاقا من كون علم الاجتماع مشروع يهدف للوصول إلى هذا الغرض و تقصي الحقائق و تفسير الواقع الاجتماعي و هذا لا يكون إلا باستخدام المنهج العلمي لأننا في هذا الاستخدام تحدث الإضافات، وتجري التعديلات وتعتمد الحقائق، و تنتشر الأفكار المستحدثة.

و من خلال طبيعة الموضوع المدروس الذي حاولنا من خلاله التركيز على علاقة هذا الفضاء الحضاري بالغرافيتي و الخلفية وراء الاستناد على هذه الجدران داخل المدينة، و الطريقة التي تتمثل بها بعيدا عن التصورات المبسطة، و لذلك اعتمدنا على المقاربة الكيفية و مثل ما قال ماكس فيبر " بضرورة البحث عن المعنى الذي يعطيه الفرد لسلوكه لأن فهم هذا الفعل الاجتماعي الذي ينتج الواقع يتضمن شرح و توضح للسلوكيات التي يقومون بها"[1].

و لتحقيق هذا الهدف اعتمدنا على تقنية المقابلة الموجهة كأداة لجمع المعطيات حول أفراد مجتمع الدراسة بحيث تعتبر الوسيلة الأفضل و الأنسب للوصول إلى وحدات البحث و تزويدنا بالمعلومات الصحيحة لجمع القدر الكافي من البيانات بطريقة مباشرة، و قد قمنا بتحضير مجموعة من الأسئلة إحداها موجهة للفاعلين (مغرفتين) و أخرى موجهة للمجتمع داخل الواقع الحضاري المستغانمي و ذلك من أجل معرفة نظرة كل من الفاعل و المجتمع لهذه الكتابات الجدارية، حيث تمكنا من جمع كم لابأس به من البيانات المتعلقة بالفاعلين مع أنه كانت هناك صعوبة كبيرة من أجل الوصول إليهم لقلة أعدادهم و تخوفهم من الأمن لأن هذه الكتابات يقومون بها بسرية تامة إلا أننا استعملنا الوساطة و كذلك مواقع التواصل الاجتماعي و الذي زاد من صعوبة الوضع هو جائحة الكورونا التي ضربت

[1] – حميدة عمراوي، في منهجية البحث العلمي، جامعة قسنطينة، دار البحث للطباعة و النشر ط1 1985 ص17.

العالم و فرض الحجر الصحي على ولايات الوطن ومن بينها ولاية مستغانم و الذي تعتبر الميدان المخصص لبحثنا هذا، من أصل عشر (10) مبحوثين فاعلين (مغرفتين) استطعنا إجراء خمس مقابلات أما من ناحية المجتمع أجرينا ثمان مقابلات من أصل خمسة عشر(15) ومن التقنيات المستعملة في هذا البحث، الملاحظة المباشرة وذلك من أجل معرفة أدق التفاصيل و الإلمام بمعلومات أكثر و الوصول إلى الحقائق[1] .

لذلك فإن المقاربة الكيفية كفيلة بالإجابة عن تساؤلاتنا المطروحة في الإشكالية خاصة و أننا نسعى لمحاولة الفهم[2]، لأن بحثنا هذا يرمي إلى محاولة معرفة الخلفية وراء اللجوء لاستخدام هذه الكتابة داخل الواقع الحضاري، حيث انصب اهتمامنا على عينة مقصودة متنوعة تسمح بتحقيق فهم ثري لمجموعة معينة من الأفراد.

و بما أن بحثنا يتمحور حول موضوع مركب له علاقة بكل ما هو حضاري و اختيارنا لمدينة مستغانم كنموذج للدراسة فإن اختيارنا للعينة كان بشكل مقصود.

***دوافع إختيار الموضوع:**

يمكن تلخيص دوافع اختيار الموضوع "الكتابة الجدارية بمدينة مستغانم" في النقاط التالية:

– ميل شخصي لموضوع الكتابات الجدارية باعتباره من المواضيع التي ما زالت محل جدل بين الباحثين و المختصين.

– قلة و ندرة الدراسات في مجال الكتابات على حسب الاعتقاد خاصة على المستوى العربي و المحلي.

[1] – مداني محمد، بوعمرة توفيق، الحضرية منظور محلي، مذكرة ماستر في علم الإجتماعي مدن و تنمية، جامعة عبدالحميد ابن باديس مستغانم، 2018/2017 ص7.

[2]– مداني محمد، بوعمرة توفيق –مرجع سابق– ص8.

– معظم الدراسات المتواجدة في هذا الموضوع سلكت مسلك واحد وهو البحث في دلالات هذه الكتابات و مكانة محرريها من قنوات الاتصال، إلا أن دراستي هذه سلكت مسلك مغاير وهو نظرة الفاعل و المجتمع لهذه الكتابات داخل المدينة.

– حب الاطلاع و معرفة مدى وعي الأفراد لما يحدث في المجتمع و ملاحظة و اكتشاف هذه الظاهرة المنتشرة في المدن الجزائرية خاصة بمستغانم بقوة.

– دوافع أخرى تتلخص في مجملها في تفاقم هذه الظاهرة و بشكل مثير و لفت انتباهنا لهذه الظاهرة من خلال المظهر الجديد الذي أصبحت عليه مدننا و شوارعنا.

– و أخيرا الرغبة الشخصية في دراسة موضوع حساس في الوسط الاجتماعي و بأسلوب بعيد نوعا ما عن الروتين النظري، و بمحاولة بسيطة للخروج إلى أرض الواقع.

*** صعوبات البحث:**

و ككل البحوث فلا شيء يجيء من العدم، و إنما بالتتبع و الجهد، فنجاح الباحث يعتمد على مدى مكابدته و صبره و مستوى تطلعاته، زيادة على توظيفه لكل مؤهلاته و مدركاته، كذلك هو الأمر بالنسبة لموضوعنا حيث صادفتنا جملة من الصعوبات و الحواجز كالتالي:

1– فيروس كورونا 19 الذي ضرب معظم دول العالم و على رأسهم الجزائر و الذي كان له تأثير كبير و عراقيل بالجملة من بينها (الانقطاع المفاجئ للدراسة و تعليقها إلى أجل غير مسمى.

– إنقطاع في النقل من أجل الولوج إلى الميدان وإن كان موجود خاصة أن ميدان الدراسة هو مدينة مستغانم التي فرض عليها الحظر و الحجر الصحي كباقي ولايات الوطن،

– تخوف وحدات العينة من المرض و انتقال العدوى و الامتناع عن إجراء المقابلة.....

2- قلة الدراسات السابقة على المستوى المحلي فلم تستند إلا على دراسة أو دراستين لكل من كريم محمد و عامر نورة و إن كانت بعيدة في محتواها و أسلوبها كما نبحث عنه.

3- قلة المراجع باللغة العربية بالنسبة للجانب النظري حيث اعتمدنا بشكل كبير على مواقع الانترنت.

4- صعوبة تتعلق بالجانب التطبيقي، حيث بذلنا أقصى مجهودنا من الحصول على الفاعلين و المغرفتين و الوصول إليهم عبر الواسطة و قنوات الاتصال (كالأنترنت) إلا أننا رغم كل هذه العراقيل و الصعوبات خاصة فيروس كورونا 19 لم ينقص من عزيمتنا في المواصلة و الولوج إلى منبع الإجابة و نقص النتائج من أجل تقديم إضافة إلى علم الاجتماع خاصة منه علم الاجتماع الحضاري و إثراء المكتبة بأطروحة جديدة.

*** تحديد المفاهيم:**

- الكتابة الجدارية:

برزت حديثا في الساحة العامة، و إن كانت قديمة، لكنها مستجدة بجدية البشرية و دروبها، و هي جملة الكتابات و الرسومات أو حتى النقوش المجسدة على الجدران الحجرية أو الطينية أو الإسمنتية، و هي تختلف ما بين المجتمعات العربية التي تعيش أولى بدايات ظهورها، عكس الدول الغربية التي اتخذت منحنيات فنية لها، وهي بمعنى آخر كل الخربشات المعبرة عن الآراء و الأفكار المقهورة، فهي عنف رمزي موجه للعامة من المجتمع و الخاصة منه كرد فعل على ما مورس عليهم[1].

محرري الغرافيتي (المغرفت)

[1]- المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة الانترنت 24 ديسمبر 2012.
http/www. Palestine-info/arabic/books/shearet/shear4.htm .

ترتبط الكتابات الحائطية بميل الشباب حيث تتراوح الأعمار بين سن الثامنة وصولا إلى سن الثلاثين، لأنه يتطلب مهارة و خفة و هروبا سريعا عند اللزوم، و هو يعتبر وسيلة احتجاجية ذات دلالات سياسية و اجتماعية و رياضية و ما شابهها[1].

وتبين الباحثة و السوسيولوجية الجزائرية فاطمة أوصديق في بحثها عن الخربشات الحائطية في الجزائر، ان الغالبية الساحقة من المخربشين هم من الذكور، أغلبهم ما بين الثالثة ثانوي و الجامعة من طبقات اجتماعية متوسطة الحال، و يعبر من خلالها في شوارع و أحياء بعيدة عن مقر إقامته، و أن هذه الكتابات لا تقتصر على الذكور فقط بل يقوم بها كلا الجنسين بل حتى الجنس الأنثوي يعبر خاصة عن المواضيع العاطفية و الغرامية كما لا تستعمل الكلمات العنيفة و الجارحة عكس ما وجدنه عند الذكور[2].

الفضاء الكتابي:

ويقصد الأماكن العمومية لعرض هذه الكتابات و تتعدد في فضاءات مختلفة سواء عامة أو خاصة و نذكر منها:

– **الشوارع و الأحياء:** و عادة ما تظهر من خلال رسوم عشوائية و كتابات حائطية متداخلة وذات مستوى رديئ و تعبر عن لغة و ثقافة أحياؤها الشعبية[3].

– **المؤسسات التعليمية:** لم تسلم حتى المؤسسات التعليمية من الكتابات الجدارية، حيث يلجأ لها البعض ليجعلها فضائه المناسب ليعبر من خلاله فنلاحظ أن أكثر العبارات

[1]– يوسف غزاوي، الغرافيتي فن شعبي محتج و صوت المهمشين، جريدة السفير، العدد 1494.لبنان.7 جوان 2014، ص10.

[2] – فتيحة لبني، تحليل سوسيولوجي للواقع الاجتماعي الجزائري من خلال الكتابات الحائطية إشراف عبد الغاني مغربي، شهادة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 2005/2004 ص36.

[3]– المنجي الزندي، ثقافة الشارع: دراسة سوسيوثقافية في مضامين ثقافة الشباب، الطبعة الأولى، مركز النشر الجامعي، تونس2007 ص30.

المكتوبة في المدارس الابتدائية و المتوسطة على الجدران أو على المقاعد تخص أسماء الطلاب[1].

– **محطات القطار:** لقد ارتبط الغرافيتي في أمريكا و نيويورك خاصة بحركة القطارات، كما و تعدت الظاهرة لتشمل جدران محطات القطارات و المحطات و حتى القطارات و خاصة لدول أوربا، و كان السبب الرئيسي من وراء اتخاذ الشباب لمثل هذه الأمكنة لممارسة هوايتهم هو العدد الهائل من السكان الذين كانوا يستخدمون المحطات يوميا، مما جعل ذلك لمثل هؤلاء الممارسين مكانا مهما في بعث رسائلهم بما يدور في أفكارهم و ذواتهم.

– **جدران المحلات التجارية و الدكاكين:** حيث أصبح مهنة لدى بعض الشباب، حيث صار أصحاب المحلات يستعينون بمختصي الغرافيتي لطبع ردهات محلاتهم بالرسوم الهزلية و الرموز التي أصبحت شيئا لازما لمثل هذه الصناعة[2].

– **المراحيض العامة:** تقول إحدى الجمعيات و التي تدعى "جمعية المراحيض البريطانية" أنه معرفة الوجه الحقيقي لكل بلد من خلال الكتابات الجدارية الموجودة على المراحيض العمومية، فهي تعبر عما يختلج في نفوس الكثير من الناس الذين يخجلون من قولها في الخارج أمام الناس فمعظم المراحيض تمتلئ بالعبارات الجنسية و الرسومات البذيئة و أرقام الهواتف حيث تكشف الحياة المكبوتة و السرية في مجتمعاتنا كأنها مساحة حرية يتخلص فيها الفرد من الرقابة و القيم والآخرين

وكذلك هناك الزنزانات والسجون وحتى غرف الشباب لم تسلم من هذه الكتابات الحائطية.

[1]– جبار كنزة مرجع سابق ص 66.

[2] – المركز الفلسطيني للإعلام –مرجع سابق–

الفصل الأول : الكتابات الجدارية ماضيها وراهنها

1- تعريف الكتابات الجدارية

2- الجذور التاريخية للكتابات الجدارية.

3- الكتابات الجدارية في العالم.

3-1 في الولايات المتحدة الأمريكية

3-2 في أوروبا

3-3 في الوطن العربي

4- عوامل ظهور الكتابات الجدارية

5- المقاربات العلمية النظرية المهتمة بدراسة ظاهرة الكتابات الجدارية.

إن الفرد في سعي مستمر و بحاجة دائمة لإيجاد سبل ووسائل تعبيرية مختلفة الأشكال، تمكنه من تحقيق تفاعله الاجتماعي مع من يحيط به، و قد اعتمد في ذلك على الكتابة على الجدران، بداية من رسومات الإنسان البدائي و أشكالها التعبيرية السهلة التي عكست الحياة الاجتماعية الأولى، وصولا إلى الشبكات الاجتماعية المختلفة ، و بالرغم من التطور الحاصل فيها ، إلا أن الإنسان احتفظ ببدائية تواجده الاتصالي من خلال تجسيد حاجاته على الجدران في شكل كتابات أو رسومات أو رموز. هذه الأخيرة التي أصبحت ظاهرة منتشرة تغزوا تقريبا كل الأوساط الخاصة منها و العامة ، و التي نجدها في كل بقاع العالم ، أطلقت عليها أسماء عدة مثل ، الكتابات جدارية ، الرسومات الجدارية ، الجداريات أو الجرافيتي[1].....

1- تعريف الكتابات الجدارية:

هي ظاهرة قديمة تاريخيا قدم الإنسان ترجع أصولها للحضارات العتيقة من قدماء المصريين و الإغريق و الرومان و غيرهم أيام الحضارة الفرعونية و الإغريقية و الرومانية ، ثم تطورت عبر الزمن أين ظهرت بحلة جديدة لأسباب و عوامل مختلفة و أصبحت تسمى "بالغرافيتي الحديث" و في اللغة الأجنبية تلقب ب "les graffitis " و الأجدر أن نبدأ بتحديد معناه معجميا ، فكلمة "graffitis " في القاموس تعني "نحت" تسوية وصياغة على شكل ما "[2]و لهذه التسمية تعريفات عدة واستعمالات مختلفة ، و لكنها تلتقي

[1] غرافيتي و تكتب جرافيتي ، غرافيتيا الجداريات GRAFF.GRAFFITI.GRAFFIT – قاموس المعاني ، فرنسي . عربي، عربي . فرنسي .

في حلقة مفهومية مشتركة ففي الإغريقية نجد graphing التي تعني يكتب يرسم و يلون، أما في اللاتينية فأصلها يعود لمفردة graphiun وتعني يخربش، يخدش ويكشط في حين نجدها في اللغة الايطالية مشتقة من كلمة graffito و تعني يخدش ويخربش تطور اشتقاقها ل graffito مفردة كلمة sraffito، و معناها كتب وخدش أو حمش أو حك سطحا[1]، هذا بالإضافة إلى مصطلح es tags التي تعني الحفر أو النقش على الجدار و هي جمع لكلمة "gravtti" .

أما عند العرب فلا يكاد نجد هذا المصطلح غرافيتي /غرافيتيا أو جرافيتي في أي من المعاجم العربية بشتى أنواعها ، إلا أننا نجده يقترب من ذلك المعنى في لفظة خربشة و خرباش بمعنى لفساد العمل ، حيث عرفها الدكتور خليل أحمد خليل سنة 1979 من خلال مؤلفه " مبنى الأسطورة" لتصبح مرادفة في اللغة العربية لمصطلح " الكتابات الجدارية " ليصبح المصطلح متداولا في الأوساط الفكرية العربية من هذا التاريخ .

قام الكاتب و المفكر العربي خليل أحمد خليل من خلال كتابه "مبنى الأسطورة" بتقييم الكتابات الجدارية إلى ثلاثة أنواع:[2]

أ- **النقوش الجدارية :** ممثلة في فنون الزخرفة ، فنون العمارة و ما يتصل بهما.

ب-**الرسوم الجدارية التاريخية:** كالرسوم المتواجدة في الكهوف و المغارات

[1] – بوعلام باي ، فعالية الغرافيتيا النضالية الهوياتية ، خلال عهد الاستعمار ، الجزائر نموذجا – مجلة الانسان و المجتمع العدد 08 – جامعة تلمسان – جوان 2014 ص 24

– غرافيتي و تكتب جرافيتي ، غرافيتيا الجداريات GRAFF.GRAFFITI.GRAFFIT – قاموس المعاني ، فرنسي . عربي، عربي . فرنسي .

[2] – خليل أحمد خليل ، مبنى الأسطورة ، بيروت دار الحداثة 1979 ص226.

اللوحات الجدارية: كما في الكنائس ، النصب التذكارية.

الرسومات الجدارية الحديثة.

ت-**الكتابات الجدارية:** و هي كتابات شخصية، شعارات ، رسائل سياسية ، اجتماعية ، ثقافية ، بصورة عادية أو فنية.

يقول الدكتور منصوري مختار: " إن الكتابات الجدارية كيفما كان شكلها رمزية أ مقروءة أو على شكل رسومات أو كاريكاتور، تعتبر دالة بذاتها تفيد فكرة محددة و تعبر عن موقف أو رأي فردي أو جماعي موجه إلى الناس عامة أو فئة أو جماعة مقصودة تتضمن معنى يمكن استخلاصه"[1]

2- الجذور التاريخية للكتابات الجدارية:

يعود تاريخ التدوين الجداري إلى عصور ما قبل التاريخ ، حيث كان الإنسان البدائي يعبر عن انفعالاته وأفكاره، و محاكاته للطبيعة من خلال النقوش و الرسوم على الجدران، و الكهوف و المغارات و الألواح ، و الحجارة التي نقشت عليها القوانين و التشريعات و ما الى ذلك، و قد أكدت الكشوفات الأثرية ذلك ، فالنجوم الثلاثة المرسومة على جدران الكهوف " لاسكو " في فرنسا تعود إلى ما يقارب 16500 عام ، و كذلك الأمر بالنسبة

[1] – منصور مختار ، الاعلام الرسمي و الاعلام الغير رسمي: الكتابة الجدارية نموذجا ، أطروحة دكتوراه قسم علم الاجتماع ، جامعة وهران 2004/2003 ص 181.

لكهوف التاسلي في الجزائر ، التي اكتشفها بربنان كان يجتاز الحدود الجزائرية الليبية عام 1938[1] .

وقد اكتشف بربنان مجموعة هائلة من الصور و الكتابات و النقوش العجيبة التي احتوتها كهوف التاسلي، و بذلك كان هذا أهم اكتشاف مهد للباحثين فيما بعد البحث أكثر فيما كتبه الإنسان في ذلك الوقت ، و قد لاحظ بربنان وجود صور لبشر يسبحون في الفضاء ، و أناس يرعون البقر وسط مروج كثيرة و حدائق و غيرها[2] .

وتظهر الكتابات الجدارية في التاسلي ، ليس في الكهوف فقط و لكن من خلال نقوش و رسوم ، و كتابات على الجدران المخابئ ، و على الواجهات الصخرية و النصب الجنائزية ، منذ ما يزيد عن حوالي 10000 سنة ، فبالنسبة للمخابئ ظهرت كتابات كثيرة مكتوبة على الجدران و الأرضيات و الأسقف ، و تعد الرسومات الصخرية في التاسلي ، نموذجا أوليا لعادات السكان في ذلك الوقت ، حيث كانوا يدونون فيها حياتهم اليومية ، و لم يكتفي سكان التاسلي بالكتابات و الرسم فقط للتعبير عن يومياتهم ، بل تعدو ذلك لتخليد حضارتهم من خلال الرسوم الفنية المنقوشة في كل مكان ، كما و تفنن سكان الطاسيلي

[1] –http/www. Ahewar.org/debat/showart.asp?aid=150273. 16أكتوبر2008. حسين

[2] –http//pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/10/15/211815.html. 14أكتوبر2009. عبد الحليم

بالتدوين و الرسم على الجدران و الصخور من خلال ظهور أناشيد دينية مميزة ، و أدعية لإنجاب الأطفال و غيرها ، و قد كانت مكتوبة باللغة الليبية القديمة .

كما و أن الإنسان البدائي كان يرسم على الجدران في الكهوف و المغاور ليس من أجل الفن و الذوق الجمالي ، بل كان في بادئ الأمر يعطي للكتابة بعد تعبديا و سحريا كما ظهر من خلال اكتشافات الباحثين في مغاور بجنوب فرنسا ، و التامبرا في إسبانيا

ولم تسلم حتى القبور من الكتابات الجدارية، و الملاحظ لبعض القبور وجود مجموعة كبيرة من الكتابات و صور منقوشة مثل ما هو موجود على أحد قبور الجيزة[1] .

كما واحتل الشعراء مكانتهم كإعلاميين في عصورهم ، حيث علقت كلماتهم على جدران الكعبة و رغم ما للظاهرة من أهمية منذ القدم إلا أن التاريخ الاجتماعي العربي لم يكتب في تفاصيله عن هذه الظاهرة و لم يوليها أهمية و حينها اكتشف الإنسان الكتابة ، و عبر عن حضارته و ثقافته تعبيرا لغويا باستخدام هذه الكتابة .

وإذا أردنا أن نفصل أكثر في الجذور التاريخية لهذه الجداريات لوجدنا أن العالم الغربي أو العربي يزخر بها و أقدم مثال على ذلك هو تلك النقشية التي تم كشفها داخل قبر مصري

[1] – http/www. Ahewar.org/debat/showart.asp?aid=150273. حسين.16أكتوبر2008

" بهيرا كونبولوس " و يتعلق الأمر هنا بتصوير بدائي لموكب جنائزي قد يرجع تاريخه حسب المؤرخين إلى سنة 3200 قبل الميلاد[1] .

3- الكتابات الجدارية في العالم :

إن ظاهرة الكتابات الجدارية هي ظاهرة عالمية ، حيث تنتشر في كل المجتمعات الغربية منها و العربية سواء كانت قديمة أو في طور النمو ، و سنتطرق من خلال هذا العنصر إلى أهم الدول التي تعرف انتشارا واسعا في هذه الظاهرة.

3-1- الولايات المتحدة الأمريكية:

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الأرضية الخصبة لظهور و تشكل الكتابات الجدارية خاصة ذات الطابع الفني ، بعد مرورها على الطابع الكتابي البسيط ، و يعود ذلك لوجود مزيج من الأعراق و الأجناس المختلفة ، و تنتشر خاصة في المدن الكبرى كنيويورك و فيلادلفيا و غيرهما .

تمثل مدينة نيويورك الأمريكية من أهم مدن العالم بروزا في مجال الغرافيتي ، حيث نشأت في أحياء المدينة حركات شبابية مارست هذا الفن باعتباره نوعا من الهزل و المزاح ، و تعود هذه الظاهرة غلى منتصف السبعينات حيث بدأت مجموعات من شباب المدينة باستخدام الجدران للتعبير عن ذواتها و أحاسيسها على شكل صور و كتابات هزلية

[1] أحمد زايد ، تاريخ الخط العربي و أعلام الخطاطين ، بدون طبعة ، دار الفضيلة القاهرة ، مصر 1998 ص13.

و مثيرة للضحك و لسبب أو لآخر ارتبط هذا النوع من الرسوم بأنفاق القطارات ، إذ يبدوا أن الكتابة عليها كانت بمثابة المغامرة ، أما الجماعات التي بدأت هذا الفن غالبا ما كانت من الأصل الإفريقي و الإسباني ، حيث اقتصرت على الطبقات الفقيرة و المحرومة و البعيدة عن الحياة العامة و الرسمية[1] .

كما ساعدت حركة " الهيب هوب " " hip hop" في تطور الغرافيتي ، إذ شكلت الجداريات أحد أهم العناصر الأساسية في ثقافتها ، بالإضافة إلى مجموعات الرقص المعروفة ب " رقص البرك دانس" ، و كذلك ما يعرف ب " الراب " و لم تكن حكرا على الجماعات الموسيقية فقط ، و إنما مارستها حتى العصابات الأمريكية طوال الستينات على الجدران لتعليم مناطق نفوذها معروفة " بعصابات الغرافيتي " و في أواخر الستينات بدأ بعض فناني الشوارع يوقعون بأسمائهم على الجدران بأشكال فنية فيما يعرف ب " التايغنيم "[2].

ولوهلة أصبحت نيويورك عاصمة هامة للكتابة الجدارية في أمريكا و العالم و امتد أثرها إلى بقية المدن الأمريكية و الأوروبية في لندن ، كوبنهاغن ، إضافة إلى سدني في أستراليا ، حيث أصبحت نيويورك قبلة للسياح من مختلف أنحاء العالم و مركزا مهما للغرافيتي .

[1] – الكتابات الجدارية في التجربة و الممارسة الإنسانية ، موقع المركز الفلسطيني على شبكة الانترنت .
http/www. Palestine-info/arabic/books/shearet/shear4.htm

[2] – الكتابات الجدارية في التجربة و الممارسة الإنسانية ، موقع المركز الفلسطيني على شبكة الانترنت .
http/www. Palestine-info/arabic/books/shearet/shear4.htm

3-2- الكتابات الجدارية في أوروبا:

لقد كانت بداية الاهتمام الأوروبي عامة بالكتابات الجدارية عن طريق السياح الذين شاهدوا أعمال الشباب التي تغطي جدران نيويورك فانتقلت هذه الظاهرة من أمريكا إلى باقي العواصم الأوروبية ، كبريطانيا و فرنسا و غيرهما.

أ) بريطانيا :

في التجربة البريطانية فإن الإطار مختلف نوعا ما إذ أن معظم الأدبيات المكتوبة ركزت على الطابع الكتابي ، حيث انتشرت الكتابات في مناطق كثيرة من المدن البريطانية : الشوارع ، المحلات التجارية ، لوحات الإعلانات ، يافطات النوادي .

ويستفاد من الأدبيات المكتوبة حول ظاهرة الكتابات البريطانية أنها غطت نواحي اجتماعية واقتصادية و سياسية ، و تعرضت في مجموعها للحركات الجديدة في المجتمع و ركزت على مشكل الجنس ، و الحركات الأنثوية ، كما أنها ذهبت بعيدا في البحث عن الكتابات الجدارية في المدن البريطانية المختلفة ، و إيرلندا و توثيقها و تصنيفها و البحث عن الجانب الجمالي و المضحك فيها ، و تضمنت بعض لوحات الرسومات الجدارية و اللوحات الإعلانية التي علق عليها الشارع البريطاني بصورة معتادة ، كما أنها طرحت إشكاليات الدين و العلمانية بصور مختلفة و متعددة ، و يقرأ المهتم تعليقات و أفكارا و حكما كثيرة حرص الشارع العام على كتابتها بصورة بيانية و تلاعب بالألفاظ و تداخلت

فيها لهجات المدن التي نشأت فيها و تميزت مدينة ملبورن و سيدني بنوع متشابه للكتابات و الرسوم التصويرية التي طبعت أعمال لندن[1] .

ب – الكتابات الجدارية في فرنسا :

في فرنسا ازدهرت الكتابة من خلال الأقليات و أحياء الفقراء السود في المدن الفرنسية حيث حلل " حسان تليلي " بعضا من مظاهرها في معرض حديثه عن المقال الجداري ضمن نظرية الاتصالات و ذكر أن الجدران تعكس آراء عدد من الشرائح و الأقليات التي لا يتسنى لها التعبير عنها عبر القنوات التقليدية مثل الصحف و الأدوات الإعلامية الأخرى ، كما ان هناك قاسما في الأفكار و الآراء التي يشترك فيها عامة الناس[2] .

والكتابة الجدارية في فرنسا تركزت في باريس ، حيث انتشرت في مركزين أساسيين هما الحي الجامعي و الأحياء السكنية التي يتواجد فيها العمال الأجانب ، و يقول المهاجرون إذا أردت أن تتعرف إلى ما يجري في العالم من أحداث فعليك أن تنزل إلى محطة المترو المقابلة للحي الجامعي و تتجول فيها ثم تقصد البناية الكبرى التي يجتمع فيها الطلبة الوافدون من مختلف أنحاء العالم مرتين في اليوم إحداهما في فترة الغذاء و الثانية في فترة العشاء ، ستقرأ على الحيطان المجاورة و تطلع على تعليقات الطلبة عليها

[1] – الكتابات الجدارية في التجربة و الممارسة الإنسانية ، موقع المركز الفلسطيني على شبكة الانترنت .
http/www. Palestine-info/arabic/books/shearet/shear4.htm

[2] – تليلي حسان ، إعلامنا المعتل ، المنشورات الجامعية و العلمية ، باريس ص204.

أما في الأحياء التي يتواجد فيها العمال المهاجرون بكثرة فإن الذين يركبهم شعور بالعنصرية و هم كثرة في بلاد الغربة يختارونها للتعبير عن سخطهم و إمتعاضهم من الأجانب و احتقارهم لهم كما تختار القوى المناهضة للعنصرية هذه الأماكن لتعبر هي الأخرى عن رأيها بالقضية ، و من المفيد ذكره أن تجربة ثورة الطلاب الفرنسيين عام 1966 كانت نموذجا جيدا في الثقافة الثورية و استخدامها الجميل للجدار في التبشير بأفكارها و أسسها ، كما عبر عنها "روهان" في كتابه "paris[1] " و نلاحظ أن الكتابة الفرنسية في مجملها تعبر عن فكر أو آراء جماعات نخبوية طلابية مقهورة أي تعبير عن ثقافة شرائح فرنسية بالتجنس تعيش في ظروف قهرية و إجتماعية سيئة ، لا ينفصل هذا عن أن الجماعات العنصرية – في ظل تصاعد الحركات القومية في فرنسا – أسهمت أيضا في تفعيل الكتابة من خلال عباراتها و آرائها المتطرفة فكان الجدار بالإضافة إلى العنف جانبا آخر من حرب الشعارات هناك .

ولا ينفي " تليلي " أن الكتابات الفرنسية شأنها في العالم الغربي تعبر أيضا عن مشكلة الكبت الجنسي و القضايا العامة التي تتعلق بمشاكل الشباب خاصة الشرائح السابقة (الطلاب و المهاجرون) و يصل الكاتب إلى أن كتاب (المقالات) أو الشعارات حسب تعبيره ينجحون في توصيل أرائهم أكثر من كتاب المقالات الكلاسيكية ، إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة الرسالة و قصرها ، و قدرة المقال الجداري على النفاذ إلى جوهر الكلمة

[1] – rohan.m.paris68 :graffiti ,posters.newspapers.ndpoftheerent,page 64

فليس هناك مقدمات تقليدية كما في المقال الكلاسيكي، مقدمة، جوهر، خاتمة، بل الرسالة مباشرة معروضة أمامك[1] .

ج – الكتابة الجدارية في ألمانيا :

وصلت حركة الغرافيتي مع بداية الثمانينات من القرن الماضي ، حيث عرفته ألمانيا الغربية و المعروفة بمدنها مثل ميونيخ و هامبورغ و برلين ، و تحديد برلين كعاصمة للغرافيتي و الذي لعب دورا هاما للتحرير ، من خلال جدار برلين ، و الذي أقيم سنة 1961 ، و قسم الألمانيتين و أوروبا رمزيا و جغرافيا إلى قسمين ، شرقي إشتراكي، و غربي رأسمالي ، فكانت تدون على جانبه الغربي الكثير من الشعارات و تعرض عليه الكثير من المنشورات ، في حين لم تعرف ألمانيا الشرقية هذه الحركة الفنية و التعبيرية و المجتمعية ، بسبب الحظر على مواد الكتابة و التلوين ، من رذاذات و بخاخات ، و كان من المحظور على سكان ألمانيا الشرقية الاقتراب من الجدار ، على عكس الغربيين الذين تمتعوا بهامش أوفر من الحرية ، و الذي مكنهم من اكتساب تعاطف دولي بانتقال عدد كبير من الفنانين الجداريين الأجانب للتعبير على هذا الجدار ، إلى غاية سقوطه في سنة 1989 ، تاريخ توحيد الألمانيتين[2] .

[1] – تليلي حسان ، إعلامنا المعتل ، المنشورات الجامعية و العلمية ، باريس ص.205/204

[2] – ، مرجع سابق–موقع المركز الفلسطيني للإعلام.

د – الكتابة الجدارية في إيطاليا :

عرفت أعمال الغرافيتي في عربات القطارات بداية ، و كانت العربات المشغولة بالكتابات تتقاعد عن الخدمة ، ثم تعود إلى خطوط النقل بعد العمليات السريعة لتأهيلها ، حيث كان لمدينة ميلانو السبق على العاصمة روما في عدد الكتابات التي طالت الجدران ، و أصبح الغرافيتي "فنا حاليا contem porary .arts" منذ سنة 1980 ، و من بين أهم المحررين "جون مشال باس كيات " [1] (jean michel basqiat)

3-3- الكتابات الجدارية في الوطن العربي :

بدأ الغرب رحلة البحث عن أغوار الظاهرة في البلاد العربية منذ القرن الثاني عشر حيث كانت البدايات عن طريق الرحالة و السياح و التجار ، من رحلة " بنيامين التميطلي " سنة 1160 ، من إسبانيا إلى الشرق مرورا بإيطاليا ، اليونان ، قبرص ، و حتى فلسطين و العراق ، حيث زار مدينة نينوي الآشورية ، و في عام 1606 قام " بترورديلامالا " برحلة إلى الشرق زار من خلالها مدينة بابل في العراق و برسيبولس في جنوب إيران ، و نقل معه نماذج من الكتابات المعمارية من تلك المدينتين[2] .

[1] –Tag sur le rur de berlin :http://ww2.ac.poitires.fr/ia16-pédagogie/IRG/PDF/Graffiti.pdf

[2] – عامر نورة ، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية ص 108.

بحدود القرن التاسع عشر ارتبطت الأبحاث في المنطقة العربية بأطماع الدول الأوربية بثروات المنطقة ، كما ارتبط برغبة تلك الدول لاقتناء متاحفها و مجاميعها الفنية بنتاج حضارة الوطن العربي .

في سنة 1798 رافقت بعثة علمية حملة نابليون على مصر ، كان من أبرز أعمالها دراسة و توثيق آثار مصر و كان من أعضائها " جان تسامبليون " الذي استطاع أن يقدم للعالم مفتاح مل رموز الكتابة الهيدروغليفية بعد تحليل " حجر رشيد " الذي عثر عليه قرب مدينة الإسكندرية أثناء تشييد ثكنة عسكرية ، هذا الحجر يحمل نصا واحدا باللغات الهيدروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية ، و نقل الحجر إلى المتحف سنة 1801[1] .

وفي عام 1846 وصلت فرنسا أول وجبة من المنحوتات الآشورية حيث استقرت في متحف الروفر بباريس ، و هي خلاصة ما توصل إليه " إيميل بوتا " الذي نقب في مدينة نينوى الآشورية ، و مدينة خرسابا العراقيتين و توالت عمليات النهب و السطو على المقدرات الثقافية للنفائس من الكتابات الصخرية و الجدارية الواقعة في نطاق الدول العربية .

و تلاحقت البعثات العثمانية ، الألمانية ، الدنماركية ، لتكمل ما بدأته فرنسا و إنجلترا[2].

[1] – كامل حيدر ، منهجية البحث الأثري و التاريخي ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ط1، 1995 ص65.

[2] – كريم محمد ، الكتابات الجدارية دراسة سوسيولوجية بمدينة مستغانم ص82.

أما في الجزائر ظهر منذ آلاف السنين و الدليل على ذلك كهوف الطاسيلي التي ترك عليها الإنسان تجاربه و خبراته " هذه الكهوف التي تقع في أقصى الجنوب الجزائري في الهقار و الطاسيلي ، يرجع تاريخها إلى ما بين 2000 و 8000 سنة قبل الميلاد ، ففي هذه الفترة كان الدافع للكتابة هو التخليد ، كما كانت تشكل جزءا من ممارسات الإنسان اليومية ، و تشمل حتى تفاصيل يومه و عباداته و طريقة عيشه ، لم تكن الغاية وراءها غاية جمالية أو فنية إنما اكتفت بعكس الواقع المعاش آنذاك و حسب .

ثم بعدها اختفى هذا الشكل من التعبير ، فلم نصادف أي مرجع و لا دليل يثبت نمو و تطور هذه الكتابات و لا اتخاذها أشكالا أخرى ، إلا مع فترة الاستعمار أين عادت هذه الأخيرة للظهور ، و لكن بحلة مغايرة تماما عن كل الأشكال التي عرفناها لدى الغرب ، حيث فسر المؤرخون ذلك بأنه يعبر عن الروح الوطنية و التميز و القدرة على قهر المستعمر ، و لأن العمل السياسي لم ينجح ظهرت كتابات جدارية تدعوا لاستخدام العنف و القوة مثل عبارة – ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة[1] .

هذا ما أطلق عليه " باول روداك " بالمقاومة الغرافيتية هذه التي اتخذت من الجدار وسيلة و قناة للإبلاغ عن مطالبها و متطلباتها للآخر ، استعملها المجاهدون و باقي الشعب لتوضيح أهدافهم و رغباتهم في التحرر و طرد الاستعمار .

[1]– جبار كنزة ، إتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية ، دراسة ميدانية لعينة من الطلبة الجامعيين ، مذكرة ماجيستر ، جامعة الحاج لخضر باتنة 2014/2013.

وفي نفس السياق الثوري كذلك ، شهدنا هذا اللون من الجرافيتي يظهر و ينتشر شيئا فشيئا على جدران الأحياء في مصر ، مع ظهور الثورة خاصة في فترة حكم مبارك ، أين ظهر مع معارضات الشباب الفائض الراغب في المقاومة ، و التي تتراوح أعمارهم ما بين 18– 30 سنة ، و يختلف المهتمون بالجرافيتي على تاريخ بدأ هذا الفن الحديث في مصر ، فالبعض يقول إنه بدأ في الستينات من هذا القرن إبان الحرب 1967 حيث ظهر رسم جرافيتي بعنوان * نهاية الأعور* ..... كما يعتبر البعض أن الرسومات التي انتشرت في مدينة السويس عقب تحرير سناء عام 1973 نوع من الجرافيتي ، غير أن الحديث عن الانتشار الواسع للرسم أصبح لافتا أكثر بعد ثورة 25 يناير[1] .

و لم يكن الوضع مختلفا عن بقية دول الوطن العربي ، فنفس الحركة شهدتها حيطان ليبيا أيضا كاشفة عن تمرد الثائرين على الحكم و السياسة ، منادين لاتخاذ خطوة نحو الثورة و التغيير مستغلين بذلك كل مساحة و إن كانت صغيرة ، لإشهار برغباتهم و إعلان ثورتهم و طلب التكتل و الاتحاد من أجل البلد ، فطغت عبارات التظاهر و التمرد و المعارضة ، إضافة إلى الصراع و التفاعل و المقاومة في شوارع ليبيا ، معلنين عن الثورة ضد سياسة حكم القذافي ، أين اكتست الجدران حلة النضال بعبارات وطنية و أخرى قبلية مثل طرابلس عاصمتنا ، و لا لا للفيدرالية ، ليبيا وطن الجميع .....

[1]– هاني جورج ، الغرافيتي كتيبة البخاخين ، مجلة الدوحة ملتقى الإبداع العربي و الثقافة الإنسانية ، العدد 57 مصر ، يوليو 2012 ص02.

وظهرت هذه العبارات في مرحلتين مهمتين من عمر الثورة الأولى عندما شاع أن القذافي سيفصل الشرق المتمرد عن الغرب المؤيد ، و الأخرى عندما ظهر التيار المنادي بالفدرالية في الشرق بعد إنتصار الثورة[1].

هذا و بالإضافة إلى دول أخرى من العالم الثالث كالعراق ضد سياسة صدام ، و كذلك اليمن ، تونس ، سوريا ، إيران ، فلسطين و غيرها من الأماكن التي انتشرت فيها الكتابات الجدارية ، تعبيرا عن الأوضاع السائدة في كل مرحلة من المراحل التي يمر بها المجتمع .

4- عوامل ظهور الكتابات الجدارية :

تتعدد العوامل و الأسباب وراء الكتابات الجدارية و التي أدت إلى بروزها و تفاقمها ومن أهم هذه العوامل و الظروف فيما يلي :

أ) العوامل الاجتماعية:

ويؤكد الباحث كود بيل cod paile أن المركبات الفكرية التي مثلتها الكتابات الجدارية لها مغزى إجتماعي باعتبار أنها تسلط ضوءا على المواقف الاجتماعية للصراع النفسي و الإنساني ، و بدوره بن أوبلر opler أن درجة الامتلاء في الكتابات الجدارية الخام في مجتمعنا تعكس مشكلاتنا الاجتماعية ، كما أكد فريمان ريتشارد freeman

[1]- د عمران القيب ، خربشات الثورة الليبية ، قناة العربية للنشر ، طرابلس ليبيا ، 17 مارس 2013 ص03.

richard أن تلك الكتابات تعكس طبيعة المجتمع ، و تحدد الطابع العاطفي لأفراده الذين يمارسون مثل هذا النوع من التعبير[1] .

ب) العوامل النفسية :

إن الأسباب النفسية و التي هي جملة الصراعات و الإحباطات و المشاعر المتناقضة التي تنتاب الفرد و تساهم بجزء كبير في بروز الكتابات الجدارية ، خاصة و أن معظم القائمين بها شباب أو بالأحرى مراهقين ، و تعد أحسن ممر لتنفيس تلك الطاقات المعارضة و المنافية أحيانا للمبادئ و القيم و العادات ، فهي ليست طريقة تعبير فقط بل تعتبر عنفا رمزيا ينبعث من مضامين تلك الإشارات و الرموز التي تبدي الرغبات سواء المحرمة أو المقبولة و التي لا تجد تنفيسا لها ، و يلعب الإستقرار النفسي دورا فعالا في سلوكيات الأفراد حيث أن القيمة الكمية و الكيفية للكتابات الجدارية تختلف من مكان لآخر[2] .

وأوضح عبد الله جمعان أن العامل النفسي و الانفعالي يدفع فئة من الشباب إلى مثل هذا التعبير الغريب و غير اللائق، إما للتنفيس و إما للفت الأنظار و الشهرة الوهمية أو لتشويه سمعة الآخرين و غيرها من الأسباب.

[1]– ، مرجع سابق عامر نورة ، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية ص 111.

[2]– ، مرجع سابق عامر نورة ، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية ص 115.

أما 'محمد تاجر' الذي يعتبر هذه الظاهرة تعبير عن شعور نفسي خاصة إذا كان الكلام المكتوب مقبولا دون المساس بشخصية الآخرين، حتى أنه يعتبرها مثل الكاريكاتير الذي تتصفحه كل يوم في الجريدة[1] .

ج) العوامل السياسية :

من أبرز أسباب الكتابات الجدارية ، و هي منتشرة في المجتمع الغربي والعربي على حد سواء ربما أمكن تفسير انتشارها في نقص حرية التعبير السياسي من خلال محدودية التعبير في وسائل الاتصال كالتلفزيون أو الصحف أو الاحتجاجات العامة و المظاهرات هي في أغلب الدول ، فيجد المتخبطون في سوق السياسة أنفسهم يخرجون إلى الجدران بدل الشوارع ، و تحت ستار الليل لا في وضح النهار[2] .

ففي بداية الثمانينات من القرن الماضي اقتصرت الكتابات الجدارية على النازية التي اتخذتها وسيلة فعالة لتمرير خطاباتها السياسية ، أما في البلدان العربية فإن الظاهرة تضرب بجذورها في عمق التاريخ هذه الأخيرة تجتاح إلى عمق فكري و سياسي يترجم الجداريات التي تأتي محملة برموز و رسائل سياسية ، كما أن هذا النوع من الكتابات هو الذي يستفز في غالب الأحيان الجهات المختصة ، كما ظهور هذه الكتابات مؤشر على غياب نقاش حقيقي حول مواضيع مختلفة بما فيها الحريات الفردية ، فحينما يتعرض الفرد

[1]– ، مرجع سابق إبراهيم خضير ، الجداريات ، تشويه للجمال و السمعة ص 10

[2]– ، مرجع سابق جبار كنزة ، إتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية ص 59/58

لقمع و سلطة المجتمع يلجأ ّإلى مثل هذه الكتابات ، و حسب الباحث السوسيولوجي "عبد الرحمان عني" أن وجود هذه الظاهرة مؤشر عن وجود إختلالات سياسية و اقتصادية و اجتماعية موجودة في المجتمع ، و ما ينبغي فعله هو احتواء هؤلاء الكتاب و الاستماع إليهم من أجل أن تقوم بالإصلاحات لا أن نحاكمهم[1] .

وعلى العموم فإن الكتابات الجدارية في بعدها السياسي إنما تتزامن مع الأحداث أو غيرها من الأحداث الأخرى المجتمعية ، فإنما هي صفة شهدتها و لم تزل كل دول العالم ، و ذلك تبعا لنوعية تلك الظروف و شدتها[2] .

د) العوامل الثقافية :

تتجسد قيمة المجتمع من خلال تراثه الثقافي و الحضاري ، بكل ما تحتويه من مقومات تظهر في جملة من العادات و التقاليد و الطقوس والعقائد الممارسة فيه ، و على اعتبار أن الكتابات الجدارية هي منتوج ثقافي حضاري[3]، حيث دائما ينظر إلى الكتابات الجدارية بناءا على محتواها الثقافي ، و عليه فإن تحليل مثل هذه الأنواع يندرج أساسا في مجمل التحليل العام للثقافة الشعبية ، فهي حسب أبيل abell أن الممثل الحقيقي للكتابات الجدارية ليس للثقافة بل للعقلية التي تطرح مثل هذه الكتابات ، و منه نستطيع القول أن

[1]– أحمد الزعواني ، على جدران الأبنية و أسوار المؤسسات العمومية و الفضاءات المهمشة ، الكتابات الجدارية عند المغاربة و الطابوهات المحرمة ، مجلة الهدهد ، العدد 10432 ، 20جانفي 2014 ، ص07.

[2]– عامر نورة ، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية. ، مرجع سابق ،ص 114

[3]– المركز الفلسطيني للإعلام ، مرجع سابق

السائد في الكتابات هو ما يفكر فيه المجتمع ، و بصورة أخرى فإن فردية الكتابة و إن عبرت عن ثقافة و سلوك المجتمع إلا أنها ترتبط بالواقع المعاش .

وعليه فإن محتوى الكتابة و إن عبرت عن ثقافة و سلوك المجتمع إلا أنها ما زالت تدور في إطار جماعات هامشية أو مضادة لحركة المجتمع ، و عليه توصف مثل هذه الظاهرة بأنها ثقافة هامشية أو مضادة ، و قد قام bushnell بالربط بين الثقافة الهامشية و معطيات الكتابة الجدارية خاصة عند تحليله لكتابات موسكو ، و ربطها بالمستوى الثقافي الرسمي[1] .

وكذلك هناك مقارنة بسيطة أجريت بين جملة الكتابات الجدارية في الدول الغربية و العربية ، و رغم أنها نتاج تراثي إنساني إلا أنها تتميز بخصائص محلية تختلف من دولة لأخرى من حيث محتواها الثقافي ، ففي الدول الغربية كإيطاليا و فرنسا مثلا فإنه يغلب عليه المواضيع التي تتجاوز كل القواعد و المحرمات السائدة في تلك المجتمعات ، على عكس ما في الدول العربية و إن تناولت المواضيع الأكثر حساسية فإنها تكون أبسط بكثير مما هي عليه في الدول الغربية[2] .

وعموما يبدوا أن الكتابات الجدارية مرتبطة بنوع الثقافة السائدة و ما تحتويه هذه الثقافة من تصورات و أفكار و قيم حول التمرد و التظاهر و المعارضة ، إضافة إلى التفاعل و

[1]– إبراهيم محمد و طارق محمد ، شعارات الانتفاضة، دراسة و توثيق– المركز الفلسطيني للإعلام كتب و إصدارات، ص 11/10.

[2]– ، مرجع سابق عامر نورة التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية ص 13/12.

الصراع و المقاومة و النضال ، و لهذا فالثقافة تشكل مرتكزا مهما في الخلفية التاريخية للوعي الجماهيري في سيرورته المعاصرة و توجيهاته المستقبلية[1] .

5- المقاربات المهتمة بدراسة ظاهرة الكتابة الجدارية :

- المقاربة الاجتماعية:

يعمد الباحثون في علم الاجتماع إلى تقسيم الكتابات الجدارية إلى نوعين من الكتابات :

النوع الأول:

ويسمونه الكتابة العامة و تكون البداية من الأسماء و الرموز و الأسماء التي تكتب و تحفر أو ترش بالدهان على الجدران الخارجية و الأشجار و الأسيجة و لوحات الإعلان و الأنفاق.

النوع الثاني:

الكتابات الخاصة و هي الكتابات التي توجد على جدران المراحيض خاصة و ما إلى ذلك، أو على الجدران الداخلية عامة أيضا ، إذا إن الجدار له دور داخلي في البيوت ، ولا يدخل هذا الإطار في التوصيف السابق للكتابة الخاصة ، و قد وضع " آلن دنديز " العالم الانتربولوجي الأمريكي إسما خاصا لمثل هذا النوع من الكتابات ، فيما أسماه (latrinatia) و قد انتقد " إرنست آبل " هذا التعريف إذ لا حاجة لدينا إلى مصطلح جديد

[1]- ، مرجع سابق عمران العيب ، خربشات الثورة الليبية ص 02.

ما دام جوهر المصطلح الذي أورده " دنديز " يدل على الظاهرة نفسها دون تدخلات جديدة[1] .

وعليه فإن الدواعي و الأسباب لدراسة مثل هذه الظاهرة ليتبين عموما من حاجة العالم الاجتماعي...نفسيا أو فولكلوريا نبتت حركة مجتمعة ، فالدراسات أتاحت فرصة لدراسة البنى اللغوية و ملامح التغييرات اللهجية والاجتماعية و دراسة الكثير من المفردات التي كانت و لو لوقت قريب تعتبر من المحرمات في مجتمعها ووجدت فرصتها للظهور مغلفة بالحياء على الجدران في المراحيض و غيرها من الأماكن البعيدة عن أعين النظار ، و أعطت الكاتب الفلكلوري المجال الواسع لدراسة التطورات الاجتماعية و ملامح التغير في العادات الشعبية أن يزج بالشعارات ضمن المواد التي تشكل ثقافة العادات و التقاليد للمجتمع ضمن تلك القائمة ، فهو يرى فيما ينقله عنه شريف كناغمة أن تلك المواد تتكون من الأساطير ، الخرافات ، القصص الشعبية ، النكات ، الأمثال ، الألغاز ، الترانيم ، التعاويذ ، التبركات ، اللعنات ، الشتائم ، السباب ، الإيحاء و الإجابات التقليدية[2] .

– المقاربة الأنتربولوجية الثقافية :

[1] - ABELL.F.Buckley.B1977.the hand Writing on the Walls.Toward.a sociological and psychological of craffiti Greenwood.wespor.p16.

[2]– موقع المركز الفلسطيني للإعلام ، مرجع سابق

انطلقت هذه المقاربة من أن محتوى الكتابة و إن عبرت عن ثقافة و سلوك المجتمع ، إلا أنها ما زالت تدور في إطار جماعات هامشية ، أو مضادة لحركة المجتمع ، و عليه توصف مثل هذه الظاهرة بأنها ثقافة هامشية مضادة ، و قد ربط بوشنيل (bushnell) بين مفهوم الثقافة الهامشية (sousclture) و معطيات الكتابات الجدارية خاصة عند تحليله كتابات موسكو ، و ربطها بالمستوى الثقافي الرسمي ، حيث يتم إدراجها تحت الإطار الهامشي ، حيث نشأت في الاتحاد السوفيتي "سابقا" مع بروز المظاهر الثقافية الغربية خاصة حركات الفن و الموسيقى و هي الثقافة التي اجتاحت العالم أجمع[1] .

[1]– كريم محمد ، الكتابات الجدارية دراسة سوسيولوجية بمدينة مستغانم ، مرجع سابق.

الفصل الثاني: المدينة كفضاء حضاري

1- ماهية المدينة كفضاء حضاري.

2- ممارسو الغرافيتي وأهم أماكن الكتابة.

3- أشكال الكتابات الجدارية.

4- أنواع الكتابات الجدارية.

5- مواضيع الغرافيتي والأدوات المستخدمة.

6- أسباب تنامي ظاهرة الكتابة الجدارية في الفضاءات الحضرية العربية.

1- ماهية المدينة كفضاء غرافيتي:

لقد تعددت التعريفات و المقاربات الخاصة بتحديد مفهوم الفضاء الحضري ،تبعا لتعدد التخصصات العلمية المعالجة له، و لكنها جميعا تصب في كونها فضاء العيش الاجتماعي المشترك ، و مما لا شك فيه أنه الحاضنة الأساسية لظهور الكتابة الجدارية بما توفره كدعامات اتصالية حاملة لمضامين الغرافيتي ودلالته و مراميه.

ومن الصعب وضع تعريف محدد لمصطلح المدينة، و ذلك لأنها ظاهرة معقدة تولدت عن تفاعل عدد من العوامل المتشابكة و من ثم اختلف العلماء في تعريفهم لها حسب وجهة نظر كل عالم و حسب ميدان علمي.

- يرى عالم الاجتماع الفرنسي (إيميل دوركايم.1858-1917) أن المدينة كفضاء اجتماعي هي وحدة فيزيائية تجمع عددا من الأفراد على رقعة جغرافية و يتمتع هؤلاء الأفراد بقيم مشتركة ، وفق نسق و تنظيم اجتماعي معين[1].

- في حين يرى (ماكس فيبر.1920/1864) المدينة بأنها تنظيم اقتصادي و سياسي و إداري حضري ، يتحدد من خلال ضمان اعتياد للغذاء ، وفق ثبات الأسعار و نشاط ثابت للمنتجين و التجار[2].

[1] - yankel fijalkow.sociologie de la ville –paris-la découverle.2002 p07

[2]- حسين عبدالحميد، أحمد رشوان، مشكلات المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري. الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط3، 2002 ص07.

حاول البعض تعريف المدينة على أنها ذلك المكان الذي أصبح من الكبر بحيث لم يعد الناس يعرفون بعضهم بعضا ، و هي خلاصة تراكمية في الزمان و المكان ، و تاريخ المدينة يمكن استقراؤه من خلال مجموعة من التراكمات التاريخية[1] .

ومنهم من تصور المدينة أنها امتداد للقرية على افتراض أن هناك تدرجا مستمرا بين ما هو ريفي و ما هو حضري.

ومنهم من عرف المدينة في ضوء عدد السكان فقد اتفقت الهيئات الدولية على أن أي مكان يعيش فيه أكثر من 20ألف نسمة فأكثر يعتبر مدينة ، في حين تضم مستغانم ما عدده (746947) نسمة وفق إحصائيات رسمية[2].

وعرفت المدينة كذلك في ضوء اصطلاحات قانونية و ذلك أن ما كان ما يطلق عليه اسم المدينة عن طريق إعلان أو وثيقة رسمية تصدر عن السلطات العليا[3] .

– و يرى البعض أن المدينة هي محرك الثقافة و منتج أساسي لها ، فهي مسؤولة عن إنتاج الثقافة و ما دون الثقافة (الثقافات الدخيلة و الهامشية للأقليات و الوافدين) (sous-culture) و لعل أهم الإسهامات النظرية لفهم واقع المدينة كفضاء اجتماعي و حضري هو ما قدمته مدرسة شيكاغو(école de chicago) و بالتحديد مدرسة

[1] المرجع نفسه ص08.

[2]– مديرية الاستشراف لولاية مستغانم، هونغرافيا مستغانم.

[3]– مرجع سابق، أحمد رشوان مشكلات المدينة، ص09.

بالوالتو(paloalto) المعروفة بمنهجية الدراسات الآثنوغرافية و الصحفية وفق نظرية التفاعل الرمزية (interactionnisme symbolique) من خلال أعمال كل من العالمين آرفينغ غوفمان (irving goffman) و جورج هيربرت ميد (george harbert mead) في بداية الربع الأول من القرن العشرين من خلال فكرة التكوين الاجتماعي للفرد في المدينة[1].

2 – ممارسو الغرافيتي و أهم أماكن الكتابة:

ممارسو الغرافيتي:

تبين الباحثة و السوسيولوجية الجزائرية "فاطمة أو صديق" في بحثها عن الخربشات الحائطية في الجزائر، أن الغالبية الساحقة من المخربشين les tayueurs هم من الذكور أغلبهم مابين الثالثة ثانوي، و الجامعة، من طبقات اجتماعية متوسطة الحال، منوهة على مفهوم الحومة القديم الذي بدأ في التراجع لديهم نظرا لأن ممارس الكتابة الجدارية حسبها يعبر من خلالها في شوارع و أحياء بعيدة عن مقر إقامته ، و أن مستعملي الجدران يحسنون حتى الفرنسية و الانجليزية[2]. و الملاحظ أيضا أن هواية الكتابة على الجدران لا تقتصر على الذكور من الشباب فقط و إنما للفتيات نصيب من ذلك، و يكمن الفرق هنا في

[1] - yankel fijalkow.sociologie de la ville –paris-la découverle.2002 p11

[2]– جبار كنزة، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجيستير في علم النفس، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014/2013 ص62.

أن الذكور يجدون مساحات أوسع كالطرق و الجدران العامة مكانا مناسبا لهم، بينما الإناث يمارسونها بطريقة سرية فيكتبون على جدران المراحيض العمومية ودورات المياه أو تلك التابعة للإستراحات في الطرق السريعة، كما و للطلاب نصيب معتبر من ظاهرة الغرافيتي و الدليل على ذلك جدران المدارس المملوءة بها و الطاولات و الكراسي و غيرها[1].

فأغلب التلاميذ الذين يمارسون الكتابات الجدارية يعمدون إلى خدش الذوق العام ، و الآداب العامة بدافع الانتقام و تصفية الحسابات مع رفاق الدراسة ، و أحيانا بحثا عن الشهرة ، و عادة ما يريد المراهق سواء كان متمدرس أن يلفت الانتباه و خاصة لدى أقرانه، و خير دليل على ذلك ظهور جماعات الراب و الهيب هوب الذي ساعد في ظهور الرسوم و الكتابات الجدارية، و التي يطلقون عليها بفن الغرافيتي حيث تظهر حاليا انتشارا في المجتمعات العربية و خاصة المجتمع المغربي و الجزائري منها وز الغريب في الأمر أن الخربشات الحائطية أحيانا ما تستهوي حتى الكبار ، و لكن بصيغة مختلفة عن كتابات المراهقين و الشباب، حيث يستخدمونها كوسيلة إرشادية و تحذيرية عندما يتضايقون من تصرف ما، فتنتشر على جدران المنازل و المحلات، عبارات "ممنوع رمي الأوساخ" أو "ممنوع الجلوس في درج العمارة" و أحيانا تكون العبارات غاضبة و مستنكرة مثل عبارة

[1]– المرجع نفسه ص 63.

"لا ترمي الأوساخ يا حيوان" و تكتب بطريقة تفتقد للجمالية و تستخدم أدوات غير مناسبة للكتابة، كما تكتب بخطوط رديئة و فيها الطثير من الأخطاء النحوية[1].

- الأماكن الهامة للغرافيتي:

أما عن أهم أماكن الكتابات الجدارية ، فقد بينت العديد من الدراسات و الأبحاث العلاقة بين الكتابات العامة و الأماكن التي تكتب فيها ، فبقدر ما تكون الكتابة عامة غير متطرفة المعاني الممنوعة أي خلو الرسالة من المضامين الجنسية ، بقدر ما تكون قريبة من الإطار الجغرافي للحي أو المدينة التي يعيش فيها الكاتب، و بقدر إحتوائها على المضمون السابق بقدر ما يبتعد عن الحي أو المدينة على حد تعبير "روبرت رسز" فالكتاب الجداريون يختارون الفضاءات المناسبة بدقة[2].

وتتحدد أماكن الكتابات الجدارية و تظهر في الفضاءات العامة كانت أو الخاصة و للتوضيح أكثر نذكر أهمها في ما يلي.

*** الشوارع و الأحياء:**

[1]- مصباح بوطبة، مضامين الكتابات الخربشية لتلاميذ المرحلة الثانوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، 2018/2017 ص68.

[2]- المركز الفلسطيني للإعلام 24 ديسمبر 2012.

وعادة ما تظهر من خلال رسوم عشوائية و كتابات متداخلة و ذات مستوى رديء ، تعبر غالبا عن لغة، و ثقافة أحيائها الشعبية، و بنوعية محيطها الحضري بأبعاده الجماعية و الهندسية.

*** المراحيض العمومية:**

تقول إحدى الجمعيات و التي تدعى جمعية المراحيض البريطانية أنه يمكن معرفة الوجه الحقيقي لكل بلد من خلال الكتابات الموجودة على جدران المراحيض العمومية فهي تعبر عما يختلج في نفوس الكثير من الناس الذين يخجلون أو يخافون من قولها خارجا ، فلو تطرقنا للكتابات الجدارية الموجودة في البلدان الشرقية فإنه غالبا ما تنتشر الكتابات الجدارية السياسية (المضادة للحكومة)، أما المراحيض الغربية تكتب عليها كلمات نابية و هي تعبر عن نوع من الثقافة المنتشرة لدى بعض الناس[1].

والملاحظ أن أغلب المراحيض سواء كانت داخل المؤسسات التعليمية و حتى الجامعية منها ، و المراحيض في المحطات و الطرق العمومية فهي تمتلئ بالعبارات الجنسية و الرسومات البذيئة و أرقام الهواتف، حيث تكتشف الحياة المكبوتة و السرية في مجتمعاتنا، كأنها مساحة حرية يتخلص فيها الفرد من رقابة القيم و الآخرون ليعبر في هذا المكان عن مكبوتاته و هواجسه و أحلامه ، كما تكثر فيها الشتائم، و أحيانا نجد عبارات

[1] –http://www.a/wastnews.com/1/news/read/716.31/1htnl..1999 الجمري 17 أفريل

النصح و الاستنكار إلي تدعوا إلى ترك هذه الأمور لأنها غير مفيدة و تصف كاتبها بأبشع الأوصاف[1].

*** جدران المحلات التجارية و الدكاكين:**

ويظهر تطلع بعض الشباب من خلال هذا الفن في أن يصبح مهنة في المستقبل، و مع بروز مدارس فنية على أيدي مهرة هذا الفن و رواده، صار أصحاب المحلات يستعينون بمختصي الغرافيتي لطبع محلاتهم بالرسوم الهزلية و الرموز التي أصبحت شيئا لازما لمثل هذه الصناعة[2].

*** محطات القطارات:**

لقد ارتبط فن الغرافيتي في أمريكا و نيويورك خاصة بحركة القطارات ، كما و تعدت الظاهرة لتشمل جدران محطات القطارات و الأنفاق و حتى القطارات، لدول أوربية خاصة ما هو ملاحظ في بريطانيا كما و أن أي قطار في ألمانيا كان يتقاعد عن الخدمة يرش و يطلى ثم يعود للعمل ثانية و كان السبب الرئيسي من وراء اتخاذ الشباب لمثل هذه الأمكنة لممارسة هوايتهم هو العدد الهائل من السكان الذين كانوا يستخدمون المحطات

[1] - http://www.alwatanvoice.com/arabic/neus/2005/01/08/15610.html. الصالح 08 جانفي 2005.

[2] – المركز الفلسطيني للإعلام 24 ديسمبر 2012.

يوميا، مما جعل ذلك لمثل هؤلاء الممارسين مكانا مهما في بعث رسائلهم الإعلامية و مخاطباتهم بما يدور في أفكارهم و ذواتهم[1].

المؤسسات التعليمية:

لم تسلم حتى المؤسسات التعليمية من الكتابات الجدارية حيث لجأ لها البعض ليجعلها فضائه المناسب ليعبر من خلاله، فنلاحظ أن أكثر العبارات المكتوبة في المدارس الابتدائية و المتوسطة، على الجدران أو على المقاعد تخص أسماء الطلاب المكتوبة بخط كبير جعلوها كذكرى، كما نجد أن بعض الكتابات أصبحت وسيلة تصارع بين الطلاب مثل عبارة " الكف الأسود تكسر رأس الكل" و قد يتخذ منها البعض وسيلة للشتم و كتابة بعض الألفاظ النابية التي لم يسلم منها حتى الأساتذة، و إذا انتقلت إلى المدارس الثانوية ترى عبارات الحب و الغزل و مقاطع من الأشعار و كلمات أغاني تملأ الجدران و المقاعد ، و لا تختلف كثيرا جدران الجامعة أو مقاعدها عن هذا الشيء، حيث نجد مقاطع من أغنيات شبابية عربية أو أجنبية و أشعار مكتوبة على الجدران و ذكريات لحب ضائع أو شتيمة لدكتور أو تعليق على فتاة أو كتابة لجزء من المقرر[2].

3- أشكال الكتابات الجدارية:

---

[1] المرجع نفسه – المركز الفلسطيني للإعلام. –

[2] http://www.alwatanvoice.com/arabic/neus/2005/01/08/15610.html.2005 الصالح 08 جانفي.

وهنا سنبرز أهم الأشكال التي يأتي بها فن الغرافيتي، فهناك أعمال عدة تم إدراجها تحت ما يسمى بالجرافيتي هذا، و الاختلاف الكائن بين كل هذه يتمثل في الشكل فقط و كيفية الكتابة في كل نوع منها ، ومن هذه الأشكال نذكر:

أ- الشعار / الرسالة le slogan/message

ويتمثل في الشكل الأبسط و الأقدم للغرافيتي، لا يحتوي عامة إلا على الرسالة اللغوية، و هذه الرسالة قد تكون أحيانا عبارة عن كلام فاحش، و أحيانا كلام له معنى، نجد هذا النوع في كل أحياء المدينة، خاصة على سلالم العمارات أين يجد فيها المراهقين فرصة لإعلان حبهم لفتاة أو لفريقهم المفضل، و قد تكون من أجل الشتم و السخرية....، و ذلك من خلال تملكهم لجميع اللغات و المشاركة في الحياة الاجتماعية[1].

و هذا الشكل هو الأكثر شيوعا بين الأفراد يستعمل بطريقة عادية دون زخرفات أو ما شابه، و هدف هذه الرسالة هو إيصال غايتها و مضمونها و التعبير عن مختلف الأغراض، و قد تستخدم كطريقة للاحتجاج أو التمرد أو المعارضة من طرف الشباب اتجاه جهات معينة.

ب- القراف le graff

[1] - m.si hamdi nacer- la mise en mots a travers le graffitis et les slog ans murausc dans la ville de tizy-ouzou mémoire de magistére-unv.mouloud mammeri de tizy le 06mars 2014 p26.

وهو من أبسط الأشكال إلا أنه عبارة عن فن احتراف يختلف عن الرسالة،يستخدم فيه الطلاء الذي يحتاج إلى براعة و مهارة ، أما بالنسبة للاسم فلا يحتل أهمية كبيرة بقدر ما يكون الاهتمام موجها إلى المضمون ، اي الرسالة و إلى الشكل أي الألوان، و الفراق في اغلب الأحيان قد يكون من وضع بعض الشباب الذين ينتمون لمجموعة واحدة[1].

يسعون لإبراز أعمالهم في شكل جماعات ينشرون رسالاتهم على مساحات كثيرة و لكن الناس لا يكترثون بها لتواجدها و انتشارها في كل مكان.

ت- التاق / النقش الجداري le tag

إن التاق عبارة عن علامة خاصة يتركها المغرفت في أي مكان لتخليد اسمه أو للتعريف بنفسه و هو توقيع يوضع في مختلف وسائل النقل الحديثة كالمترو و غيرها إلى آخر زاوية من زوايا المدينة، و ذلك من خلال استعمال أسماء مستعارة سواء كانت حركة فردية أو اجتماعية ..... و التاق يقوم به فنانين شباب ينتمون الى ثقافة الهيب هوب ، و أسماؤهم المستعارة قد تعود إلى أسماء فنانين أو أعمال تنتمي إلى ثقافة معينة.

فالتاق إذن من أقدم أنواع الجرافيتي يتمثل هذا النوع في كتابة اسم معين أو اسم شخص مستعار في مكان معين بواسطة أفلام الماركر[2] و ما يجعل هذا الشكل متميزا هو استعماله لمثل هذه الوسائل إضافة إلى الدقة و الاحترافية التي تنجز بها، و إصابتها الهدف من

[1] - المرجع نفسه ص26، 27.

[2] - magali bon moreau- le graffitia fraibourg p02.

ناحية المضمون و ما يجعل هذا الشكل متميزا هو استعماله لمثل هذه الوسائل إضافة الى الدقة و الاحترافية التي تنجز بها، و إصابتها الهدف من ناحية الفصاحة .

ث- Throw-up

وهو أيضا عبارة عن توقيع و لكنه يتجاوز التاق في الأهمية و يحتوي على عدة ألوان، و هذا النوع نال الكثير من الشهرة و الذيوع و عرف انتشارا على نطاق واسع، و ذلك لكونه يسعى إلى التعريف بالأسماء المكتوبة على الجدران، و إيصالها إلى المجتمع[1] ، و هذا يعني أن الغرافيتي فن متشعب بكثرة يشمل جميع المجتمعات بنواحيها و كل ما يتعلق بأفرادها، هدفها واضح هو التغيير أو التوجيه و غيرها.

4- أنواع الكتابات الجدارية:

تنقسم هذه لنوعين أساسيين –كما أشرنا إليه أعلاه– و ذلك بالنظر للطريقة التي تنتشر بها في الأوساط العامة و الخاصة، و من خلال نوع الكتابات و الفئة الاجتماعية التي تسعى لمخاطبتها بها ، و هذه الأنواع هي كالآتي:

أ- النوع الأول: و يسمى الكتابات العامة، و سميت كذلك لعاميتها من ناحية الموضوع و المكان فهي تتحدث عن القضايا الشاملة و المتعلقة بالشؤون العامة للدولة مثل، "وتكون

[1] magali bon moreau- le graffitia fraibourg p12/13. – المرجع نفسه ص13/12.

البداية من الأسماء و الرموز والأسماء التي تكتب وتحفر وترش بالدهان على الجدران الخارجية والأشجار و الأسيجة ولوحات الإعلان والأنفاق[1] .

وتكون هذه الأماكن مقصودة ومكشوفة تعرض مضمونها علنا ولا تحتاج واسطة لرؤيتها أو لقراءتها .

ب- النوع الثاني: وسميت الكتابة الخاصة وهي عكس الأولى تماما، تتسم بالخصوصية من كل جانب سواء كان من ناحية الموضوع أم المكان ، لا تهتم بالقضايا الاجتماعية بقدر ما تهتم بالأمور الشخصية غالبا ما توجد على الجدران و المراحيض الخاصة أو على الجدران الداخلية عامة أيضا[2].

تطرح المواضيع النفسية و الجنسية أكثر من المواضيع الأخرى و لذلك تعتمد للتستر في أماكن غير مكشوفة لا يصل إليها الكثير من الناس.

5- مواضيع الغرافيتي والأدوات المستخدمة:

أ - مواضيع الكتابات الجدارية:

- مواضيع سياسية:

[1] - magali bon moreau- le graffitia fraibourg p12/13.

[2] - إبراهيم محمد و طارق محمد - شعارات الانتفاضة- دراسة و توثيق- المركز الفلسطيني للإعلام كتب و إصدارات ص11.

تعتبر الكتابة على الجدران من الوسائل القادرة على نقل الفكر السياسي لأن أفرادها يختارون التعبير عنها في الأماكن العامة، قصد التأثر على عدد كبير من الناس من خلال الاتصال اللفظي البصري، و يعتبر الكثير من الباحثين الغربيين أن الكتابة على الجدران هي عمل سياسي لابتعادها عن أشكال التعبير التقليدية المعتمدة كما أنها تمكن العالم من رؤية الواقع كما هو و أحيانا تمثل دعاية سياسية لأحزاب أو حركات معادية للحكومة و في هذا الصدد يرى الباحث "نويصر بلقاسم" مختص في علم الاجتماع أن ظاهرة الغرافيتي هي ظاهرة قديمة في ظهورها حديثة في محتواها، وأنها شكل من أشكال التعبير السياسي، حيث أصبحت مؤخرا أداة للاحتجاج السلمي، مستدل بذلك على الانتخابات البرلمانية في الجزائر، وظهور الدعاية للمترشحين[1]." كما أكد الباحث "مشال لكلوت michel laclotte أن الكثير من الكتابات الجدارية تأخذ الطابع السياسي أثناء الانتخابات الخاصة، أو قد تأخذ ألفاظ انقلابية تظهر أحيانا على شكل رسوم كاريكاتورية تمس بالحياة السياسية[2].

[1] - http://elahdath.net/indesc.ph p/sociol/20742.html.أنس 04ماي 2013.

[2] - la clotte .1996 p 919

– المواضيع الرياضية تظهر الكتابات الجدارية في هذه المواضيع الشغب والعنف في المجال الرياضي، فهي تحتوي على اسم فرق كرة القدم و أسماء يظهر أنها لمناصرين مستعدين لفعل أي شيء بعيدا عن قوانين الرياضة وأخلاقيتها[1].

مواضيع العنف:

وهذه المواضيع التي تمثل العنف كانت وبقوة في بداية الغرافيتي من خلال المنظمة أطلقت على نفسها اسم عصابات الغرافيتي في نيويورك وفيلادلفيا، وهم عادة مجموعات من الأقليات العرقية و الإثنية من اليافعين الذين اتخذوا من الليل ستارا ليمارسوا فوضاهم و يسجلوا سخطهم على الجدران ناشرين الرعب في كل مكان[2].

مواضيع حميمية:

وهنا توضح هذه الكتابة الحائطية اللغة البسيطة الغير مشفرة، والتي تعكس الرغبة في التعبير عن شعور إزاء حبيب مثلا كما يمكن أن تتضمن كلاما نابيا أو سبا أو قذفا ينم عن حقد دفين أو رغبة في الانتقام، كما تلفت انتباهك أحيانا صور خليعة خادشة للذوق العام[3].

---

[1]– جابر نصرالدين و ابراهيمي الطاهر (9–10 مارس 2003) دراسات العنف الرمزي في ضوء الكتابة الحائطية مداخلة ضمن الملتقى الدولي الأول "العنف و المجتمع" عين مليلة–الجزائر– دار الهدى و النشر للطباعة ص298، 330

[2] http://www.ahewer.org/debat/show.art.asp?aid=26837.البقاعي20أكتوبر2004.

[3] http://www.a/houdhod.com/articlees/10432/1...../page1.html 2014 الزعواني 20 جانفي.

ب – الأدوات المستخدمة في الكتابات الجدارية:

تعددت أدوات الكتابة الجدارية من الأصباغ و البخاخات المتخصصة في الغرافيتي، إلى مجموعة الأدوات التي يبتكرها ممارسوا الغرافيتي أنفسهم من خلط مجموعة مواد و أصباغ للحصول على مزيج يستعملونه أثناء الرسم و الكتابة على فضاءات و أسطح مختلفة، وسأذكر فيما يلي أهم هذه الأدوات و الأصباغ الخاصة بممارسي الغرافيتي:

– الأصباغ:

وهي على أنواع و أهمها الأصباغ البلاستيكية،(نفسها الأصباغ المائية) حيث تستخدم في الكتابة الجدارية، إلا أنها قليلة المقاومة أمام عوامل الطبيعة خاصة أشعة الشمس، أما ممارسو الغرافيتي يفضلون استخدام الأصباغ الإكوليكية لأنها تصنع من مواد مقومة للعوامل الطبيعية القاسية مثل أصباغ السيارات[1].

– أدوات الرش:

[1] http://wwwnavideshahed.com/ar/indesc.phr?page=definition8uid=1999472. قدياتلو 08سبتمبر 2013

وقد ارتبطت هذه الأدوات ببروز ظاهرة الغرافيتي، حيث يستخدم الكتاب الجداريين على الرش cansprey أثناء الكتابة أو الرسم، ومن مميزات هذه التقنية، أنها تزال و تمسح بسهولة[1].

- الأستنسل:

وهي لوحة كارتونية مفرغة يتم رش الأسبراي من فوقها ليظهر الرسم على الجدار فور الانتهاء، و تكون عادة مصنوعة من الورق المقوى أو البلاستيك، ويتم من خلالها تطبيق أشكال و رسوم مختلفة على أسطح الجدران وغيرها، ومن خلال رش الطلاء فوقها، وهي تباع إما بأشكال مسبقة أو يصممها هواة الغرافيتي[2].

- قلم الرصاص:

وفضل أن يكون من أجود الأنواع مع قبعة رقيقة تسمح بإخراج الخط نحيفا ورقيقا.

- أرت مار كرز art markers :

تستعمل فيه أنواع معينة من هذه الأقلام تكون أكثر احترافية، و هو أنواع منها: on . the run. OTR

- البخاخ spray paint:

[1] http/www. Palestine-info/arabic/books/shearet/shear4.htm المركز الفلسطيني للإعلام 24 ديسمبر 2012

[2] the free dictionary.http://www.thefreedictionary.com/stencil.

يعتبر من أكثر الأدوات انتشارا و استعمالا وهو نوعين: الأصلي و التجاري، يتوفر في بلدان عدة كالإمارات، السعودية وأمريكا.....

– التاق مار كرز tag markers

وهي أقلام خاصة لوضع التواقيع.

– الكابز :CAPS

وهي قبعات توضع على البخاخ، للتحكم بحجم و نوعية الكتابة، كالرقيق، الغليظ، العريض، ....و هو أنواع أيضا

*كاب رحيق أصلي رمزه: نيويورك ثن Ny thins يركب أيضا على كل الأنواع تقريبا.

*** الكاب الألماني:**

جيرمان آوت لاين German Out Lines ، يركب أيضا على كل الأنواع.

*** كاب نيويورك فات Ny Fats :**

هو من أشهر الكابات العريضة[1].

[1]– مدونة سيل بدايتي مع الجرافيتي –من الصفر الى الاحتراف–فصل1 .
- nseal worldspress.com.

فهذه الأدوات تقوم بصنعها شركات مختصة في ذلك، ثم من بعدها تطور على أيدي المغرفتين أثناء استعمالهم لها و عند رغباتهم بإبداع أشكال و خطوط جديدة، هذا ما جعل الجرافيتي ينتشر أكثر، فهم وجدوا في هذه الشركات ما يحقق لهم مطالبهم، بتسخير هذه الأدوات لهم، وبالتالي تفننهم في هذا المجال.

6- أسباب تنامي ظاهرة الكتابة الجدارية في الفضاءات الحضرية العربية:

أما عن الأسباب التي أدت إلى انتشار ظاهرة الكتابة على الجدران في الفضاءات الحضرية العربية فتعود إلى مجموعة عوامل متداخلة، وهي كالآتي:

- أسباب سوسيو إقتصادية:

إن تراجع الأدوار التقليدية التي كانت حكرا على الأسرة و المدرسة و في مقدمتها التربية و التنشئة الاجتماعية، الناتجة عن تفريط وإهمال أولياء الأمور لأبنائهم وغياب وقابة وتوجيه يحدد سلوك الأطفال واختياراتهم (إذا علمنا أن المحررين ليسوا فقط من الشباب بل حتى من الصبيان)، يجعل من الأولاد ضحايا للإعلام و الثقافات الغربية (ثقافات الشوارع)،، كما أن تقليص فرص الأبناء للتعبير عن آرائهم في أسرهم قبل المدرسة والمجتمع، يجعل جدران المدارس الملاذ الحر، فالكتابة الجدارية ليست إحدى مخلفات التنشئة الاجتماعية الغير سوية و المضطربة فحسب، بل تلعب الظروف الاجتماعية دورا مهما في تحديد ملامح هذا السلوك الاجتماعي لدى الشباب من جملة

الظروف الاجتماعية التحولات والتغيرات الاجتماعية المصاحبة للتباين والتفاوت الطبقي الذي تغذيه ميكانيزمات التملك و الجماعات المسيطرة، و التوزيع التعسفي الغير العادل لناتج الثروة و إيراداتها، فالكتابات الجدارية كانت لسان حال الطبقات الاجتماعية المحرومة أو المهمشة أو المقموعة والتي تعاني الفقر، التهميش، الازدراء، البطالة، غياب برامج دعم و امتيازات الدولة، زيادة على انعدام تكافؤ الفرص في العمل، الصحة، الهجرة والسفر التمثيل الإعلامي والسياسي، وهي شكل من أشكال رفض التملك الاقتصادي.

- الأسباب السياسية:

يمتهن بعض الشباب مهنة الكتابة على الجدران لأهداف دعائية أو ترويجية لبرامج و مخططات وقادة رأي سياسيين في محيطهم الحضري، والسبب في ذلك عجز الإعلام الرسمي عن التقرب للجماهير وكسب ثقتها، بعيدا عن ديماغوجيات الخطاب السياسي الذي تغذيه لغة الخشب ويعتبر عامل الاستعمار كما هو الحال بالنسبة لمثالي فلسطين والعراق، سببا في تنامي الكتابة الجدارية عربيا، في حين تعكس الكتابة الجدارية في كل من مصر، تونس، وليبيا سخط مدونيها على ظروفهم الحياتية وعلى نظم الحكم والقضاء في بلدانهم.

- الأسباب الثقافية:

لطالما اعتبرت الكتابة الجدارية على أنها خارج الإطار الرسمي للثقافة، لأنها نمت وتبنتها جماعات هامشية، هي في عرف الثقافة الرسمية خارجة عن محورها، وحركة مضادة لحركة التنظيم الاجتماعي، فتنعت بأنها ثقافة فلكلورية هامشية مضادة، على الرغم من أنها منتوج وموروث ثقافي حضري، يعكس ثقافة شعوبية غير نخبوية معينة[1].

- الأسباب النفسية:

تعد من الأسباب الرئيسية لتنامي الظاهرة وهي تجسيد صراع الأنا و الأنا الآخر ومحاولة الفرد للبحث عن تحقيق الذات في المجتمع (دور ومكانه) وخلاصة إسقاطات نفسية لهواجس، طابوهات، ميولات جنسية، إفراغات انفعالية، مكبوتات، مشاعر إنسانية، تأخذ من الجدران وفضاءات العيش الاجتماعي المشترك مدونات أو مسودات لها.

[1] – موقع المركز الفلسطيني للإعلام –مرجع سابق.

الفصل الثالث: الغرافيتي والمدينة

الجانب الميداني للدراسة.

الفصل الثالث: الغرافيتي والمدينة.

1- شخصيات متعددة وممارسة واحدة.

2- أماكن مفضلة للكتابة.

3- الادوات المستخدمة.

4- خصوصية المضامين وإختلافها.

5- الرسم داخل الفضاء الحضري.

6- الكتابة الجدارية بين المرغوب والممقوت.

من المفروض أن أي عمل في علم الاجتماع يقتضي حضور معطيات البحث بغية تحليلها و تفسيرها، لكن و بسبب الظروف القاهرة التي نمر بها تعذر علينا إتمام الجانب العملي المتطلب للاحتكاك المباشر مع المبحوثين، لذلك اقتصر هذا الفصل على استثمار متواضع لبعض المعطيات الميدانية من مقابلات و ملاحظات.

1- شخصيات متعددة و ممارسة واحدة:

بالرغم من التشابه في السلوك الكتابي إلا أن هناك اختلاف بين الأشخاص الفاعلين (المغرفتين) من حيث الأعمار والمهنة والسن والجنس ومكان الإقامة (حيث توصلنا إلى أن أعمار المغرفتين لا تقتصر سن محدد بل يمارسها معظم الأعمار السنية من 20 إلى 45 سنة، و بأنها لا تقتصر على الجنس الذكوري فقط بل حتى الجنس الأنثوي يمارس مثل هذه الكتابات الجدارية، و تتعدد مهن هذه المجموعة منهم ما هو موظف في شتى القطاعات و منهم غير ذلك، و لا تتوقف عند الشباب البطال نظرا للظروف التي يعيشها من تهميش، أما من حيث المستوى التعليمي حيث توصلنا إلى أن بعض الأشخاص ذات شهادات جامعية، إلا أنهم يزاولون هذه الكتابات، و ليس فقط الأشخاص دون المستوى التعليمي، أما من ناحية مكان إقامتهم، فهناك من يقيم داخل الفضاء الحضري و منهم من يقيم خارج المدينة.

المصدر: الباحث

الأماكن المفضلة للكتابة:

أما عن أهم أماكن الكتابات الجدارية قد تبين من خلال الدراسة أن هناك علاقة بين الكتابات العامة و الأماكن التي تكتب فيها، فبقدر ما تكون الكتابة عامة غير متطرقة للمعاني الممنوعة (كالمضامين الجنسية و المضامين التي تسيئ للسلطات) بقدر ما تكون قريبة من الإطار الجغرافي للحي الذي يعيش فيه المغرفت، فالكتاب الجداريون يختارون الفضاءات المناسبة بدقة فمن خلال دراستنا هذه توصلنا إلى أن أهم الأماكن المفضلة للكتاب هي الأماكن العامة التي ليس لها ملكية شخصية و خاصة أملاك الدولة فأكثر الأماكن عرضا لهذه الكتابات هي بيوت المولدات الكهربائية، لم يسلم اي مكان من الكتابة و تعتبر مقرا لهذه المجموعة من الكتاب، وكذالك هناك محلات الرئيس التي اتخذها البعض مساكن لهم تعد أحسن وجهة للكتابة خاصة من الأشخاص المقربين منها و القاطنين بها، و هناك جدران الأسواق المغطاة (عين الصفراء، حجاج، سيدي علي) و حتى المؤسسات التعليمية لم تسلم من هذه الكتابات، كأسماء الطلاب المكتوبة بخطوط

كبيرة من أجل الذكرى، فالسلطات قامت بطلاء هذه الجدران خاصة ذات الشوارع الواسعة و التي توجد بها حركة مرور واسعة عكس الشوارع الضيقة ما زالت تحمل على جدرانها هذه الكتابات.

المصدر: الباحث

الأدوات المستخدمة في الكتابات الجدارية:

تتعدد أدوات الكتابة الجدارية من الأصباغ و البخاخات المتخصصة في الغرافيتي، إلى مجموعة الأدوات التي يبتكرها ممارسو الغرافيتي، من خلط مجموعة مواد و أصباغ للحصول على أصباغ مختلفة و من خلال دراستنا هذه توصلنا إلى أن الشباب المغرفت يفضل استعمال الأدوات التي لا تكلفه مبلغ مالي و المتاحة كالطباشير و بقايا الأخشاب المحترقة (الجمر) حيث صرح لنا أحد المبحوثين عندما سألته عن الأدوات المستخدمة للكتابة كان جوابه " بقايا الحطب الجمر و الطباشير و الطلاء بشكل قليل لأنه لا يوجد

لدي أموال باه نشري بخاخة مكلفة كثيرا"[1] و هناك من يفضل استعمال قلم الرصاص و الأقلام الملونة كالماركار، حيث صرح لنا أحد المبحوثين أنه يفضل قلم الرصاص خاصة على خلفية بيضاء، و ذلك من اجل لفت الانتباه للمارين و من اكثر الأدوات المستخدمة و المفضلة هي الأصباغ خاصة الزيتية لأنها مقاومة للعوامل الطبيعية كالأمطار و أشعة الشمس، هذا حسب تصريح أحد المبحوثين و كذلك استعمال البخاخات لأنها سهلة ولا تحتاج إلى فرشات و خلط الألوان و يستخدمون الفرشات من أجل الكتابة.

خصوصية المضامين و اختلافها:

تبين من خلال بحثنا هذا أن معظم الكتابات الجدارية داخل مدينة مستغانم ذات دلالات سياسية و اقتصادية و اجتماعية، فنية و و رياضية ناتجة عن ظروف و أحداث وقتية حياتية و من اهم هذه المواضيع المتناولة داخل هذه الكتابات، و متداولة بشكل كبير هي المواضيع الاجتماعية و حملت آمال محرريها و مطالبهم بأكثر إلحاحا في الهجرة نحو فرنسا و إسبانيا و التي كانت تحمل العبارات التالية (الحرقة ولا انتوما، مالقا، باريس، تحيا الحرقة، الهجرة لمن استطاع .....، أعطونا الفيزا، واش ديرو بينا يا دولة يا دولة، ....) و حملت كذلك هموما متعلقة بتحسين أوضاع الشباب كالتشغيل و حتى الحق في السكن،..... كما وردت عبارات و مطالب سياسية خاصة التي كانت تندد

[1]– المقابلة رقم 2.

برحيل العصابة الحاكمة و أيام الحراك في الجزائر حيث صرح لنا أحد المبحوثين عن أهم المواضيع السياسية "ضد العهدة الخامسة و النظام الحالي و شعارات الحراك"[1]

ومن بين هذه الكتابات السياسية هناك شعار لا للعهدة الخامسة، ترحلو قاع، العصابة، و العبارات المقاطعة لفرنسا كعدو للجزائر، بأن لا يتدخل في الشؤون الجزائرية.....و هناك عبارات و مضامين حميمية و عاطفية و التي تعكس الشعور إزاء حبيب مثلا كما يتضمن كلاما نابيا أو سبا ينم عن حقد دفين أو رغبة في الانتقام، كما تلفت أحيانا صورا خليعة خادشة للذوق العام و التي كانت قليلة، ومن بين العبارات الحميمية الأكثر تداولا إختصار كلمة الطرفين المحبوبين f+m أو اسم أحمد + أمينة = حب .... كما وردت عبارات رياضية تشجيعية تظهر الشغب و العنف في المجال الرياضي فهي تحتوي على إسم فرق كرة القدم المحلية التي تنشط في الرابطة الوطنية يتقدمها ناديي الوداد و الترجي، و هناك شعارات رياضية مساندة للمنتخب الوطني الجزائري خاصة عند تحقيق كاس إفريقيا، ومن بين العبارات الرياضية المتداولة للمدرب الوطني جمال بلماضي و الكحلوشة و أسماء بعض اللاعبين، كما خرجت الكتابات الجدارية عن نطاقها الجغرافي في مساندة الفرق الأجنبية الاسبانية و الفرنسية كبرشلونة و ريال مدريد .

كما وردت كتابات جدارية توعوية تحسيسية دينية التي تدعو إلى عدم رمي القمامة و تزيين الأحياء و الابتعاد عن الآفات الاجتماعية كالمخذرات و التدخين و هناك الدينية

[1]– المقابلة رقم 1.

كالعبارات القرآنية التذكيرية مثل "استغفر الله" و "صل على رسول الله" و من بين العبارات التي تدعوا إلى النظافة " لا ترمي الأوساخ هنا" ..... و في تصريح أحد المبحوثين قال " لّأن هذا الشعب باه توعيه لابد أن تختار هذه الطريقة، لازم تعرف كيف توصل الفكرة " [1]

و هناك بعض الكتابات المبهمة كالتواريخ التالية:1990–1991–1992 و التي تتكرر ففي معظم الأماكن خاصة 1992 لها سرية لم نستطع التعرف عليها و كذلك شعار . SAW DAW. BAW.

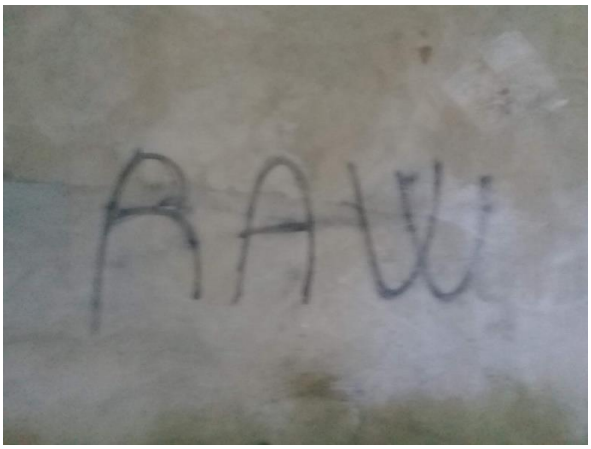

المصدر: الباحث

[1]– المقابلة رقم 6.

الرسم داخل الفضاء الحضري:

هناك ممارسة أخرى تشترك مع الكتابة الجدارية في استخدام الفضاءات العمومية لكن بغرض تزييني ملتزمة اتجاه الأهداف النبيلة، و غالبا ما يكون على الممتلكات العامة، مثل كالحدائق و الملاعب، و المدارس و عنده مناسبات خاصة كالاحتفالات بمناسبات و هو نوع من أنواع " فن الشوارع " و يمارس هذا النوع من الجداريات بإذن من صاحب الجدار و إن كان الجدار تابعا لأي ممتلك عام يكون الإذن من السلطات.

يمارس أمام أعين المواطنين، حيث عرفت مستغانم أيام الحراك موجة كبيرة في تنظيف الأحياء و تزيينها بمثل هذا النوع من الجداريات من أجل جمالية المدينة، ومن بين الرسومات الموجودة هناك رسومات على شريط جداري طويل موجودة بطريق الميناء، و كذلك رسومات أخرى بالواجهة البحرية صلامندر و بعض الصور الكاريكاتورية الهزلية و أخرى ترويجية.

المصدر: الباحث

الكتابة الجدارية بين المرغوب و الممقوت:

الكتابة على الجدران من الظواهر التي انتشرت بين بعض الشباب وأصبحت تمثل منحدرا سلوكيا تضاربت الآراء حول تقييمه بين الصحة والخطأ ،بين الإبداع والتخريب في بعض المواقف هناك من يرى أن الكتابة على الجدران تعتبر ظاهرة تهدف إلى لفت انتباه الآخرين وأنها صوت من لا صوت له والتي يطلب صاحبها من خلالها عن حقوقه في تصريح أحد المبحوثين قال : " عندما يكون الإنسان عاجز عن التفاهم بين الأفراد يستعمل الكتابة على الجدران لإيصال المعلومات وهي الأكثر حفاظا للفكرة أو الذكرى[1] ..."

و إن الكتابة على الجدران تمثل مصدر إلهام لدى الشباب في حياتهم اليومية ووسيلة للدفاع عن القضايا الاجتماعية و الثقافية و السياسية حيث صرح لنا أحد المبحوثين : " إنها ثقافة للمجتمع و أنهم يستعملونها لنقل أفكارهم ولما لا توفر لهم الدولة جدران خاصة للكتابة"[2] ، وأنها فنا بديعا ووجها من أوجه الحرية للتعبير الراقي ، فإن البعض الآخر وهم من الأغلبية الساحقة يعتبرونها ظاهرة مزعجة و و مفسدة للذوق العام خاصة منها الكتابية حيث صرح لنا أحد المبحوثين : "من الأحسن أن لا يكتبون وإذا كتبو كل واحد يكتب عند دارهم ومن الأحسن الرسومات"[3] لأنها تتضمن أحيانا لغة غير مناسبة للمارة والسكان من

[1]– القابلة رقم3

[2]– المقابلة رقم 8

[3]– المقابلة رقم 12

كلام فاحش و صور خادشة ورسائل هجينة تعلو بعض الأصوات،ولعل أشد أسوء مظاهر الكتابة تلك التي تطال المعالم التاريخية و الأسوار الأثرية، على أن هذه الكتابات سلوكا ممجوجا و شكلا من أشكال التلوث الذهني والبصري باعتباره يشوه البناءات و يخل بجمالية المدن و العمران و هذا فضل عن كونه اعتداء على الفضاء العام نتقاسمه مع الآخر.

حيث أصبح يطلق على أصحاب هذه الكتابات بالمجانين والمخربين و أعطوه مصطلح فن تشويه الممتلكات حيث صرح لنا أحدهم " أنها أعمال مشينة و عشوائية و ليس لها هدف و يجب محاربتها "

المصدر: الباحث

الخاتمة

وفي الأخير تبقى ظاهرة الكتابة الجدارية واحدة من أهم الظواهر التي لازال يعتريها الكثير من الغموض، خاصة الوقت الحالي مع تعدد مواضيعها وممارسيها وانتشارها في كل مكان سواء في الشوارع أو المؤسسات والمحطات والمراحيض وغيرها من الأماكن العمومية، حيث أصبح ممارسوها يعتمدون عليها كوسيلة أو قناة لتبليغ الرسائل بطريقة مشفرة و صريحة من أجل لفت أنظار الناس والرأي العام وتناولت مواضيع سياسية و اجتماعية و ثقافية ورياضية و توعوية وغيرها..

واتضح أن هذه الكتابات لم تقتصر على فئة معينة، والبعض يعتقد بأنها تنتشر عند فئة المراهقين والبطالين ودون المستوى و المافيا و المتسربين دراسيا، إلا أن الواقع و الدراسة أثبتت انها تنتشر حتى عند كبار السن وفئة النساء والشرائح المتعلمة .

وفي سياق ذلك حاولت الدراسة الكشف على العلاقة بين الواقع الحضري والكتابة الجدارية وخلفية اللجوء إلى استخدام الجدران كسند للتعبير والطريقة لتي تمتثل بها ومن خلالها أسفرت النتائج على وجود علاقة بين هذه الكتابات والواقع الحضري والمجسدة في تلك الكتابات داخل المدينة من أجل التعبير عما بداخلنا وإيصال رسائل ولفت انتباه الرأي العام وأن هاته الجدران هي المتنفس الوحيد لهذه المجموعة من الشباب والحل الأمثل والأنسب وأنها سند وقناة لمن لا قناة له، وأن هناك اختلاف وتضارب حول الكتابات الجدارية بمستغانم بين مؤيد لها و رافض بين من يرى ذلك إبداعا و ذلك تخريب للممتلكات العامة.

ومن هذا استطاعت الدراسة المتواضعة رغم الظروف الصعبة التي ضربت العالم "كوفيد19" أن يصل إلى جملة الأهداف البحثية المسبقة، نتعرف على علاقة الكتابات الجدارية وخلفية اللجوء لاستخدام هذه الجدران كسندا للتعبير عن أشكال متنوعة من الانشغالات التي تمثلت بها.

إن هذا العمل ليس الحقيقة العملية كلها حول ظاهرة الكتابة الجدارية، وإنما هي جزء من الحقيقة مثلت إقترابا نظريا سوسيولوجيا لماهية الظاهرة، ومنه فإن ظاهرة الكتابات الحائطية من المواضيع الحديثة وقليلة التناول ويبقى الموضوع مفتوحا للدراسة في رسائل قادمة .

الملاحق

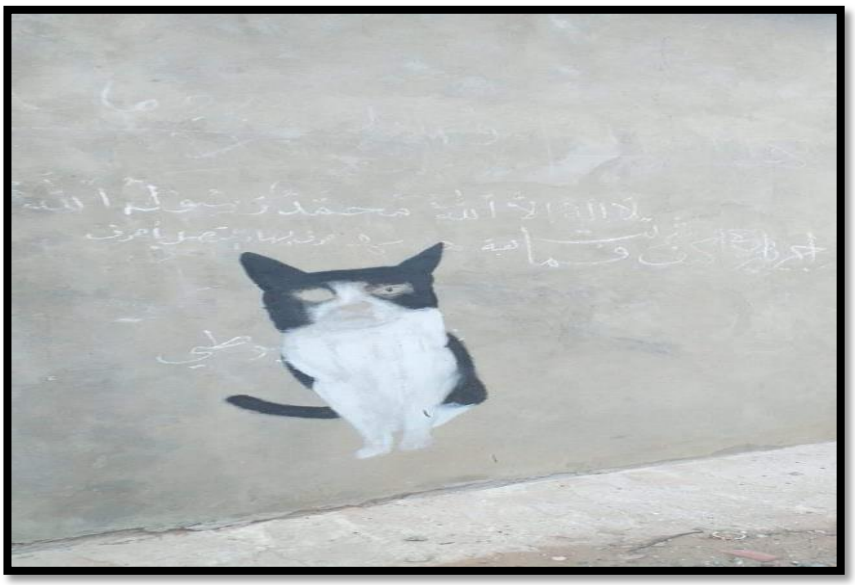

صور ملتقطة من حي 05 جويلية –مستغانم

صور ملتقطة من حجاج

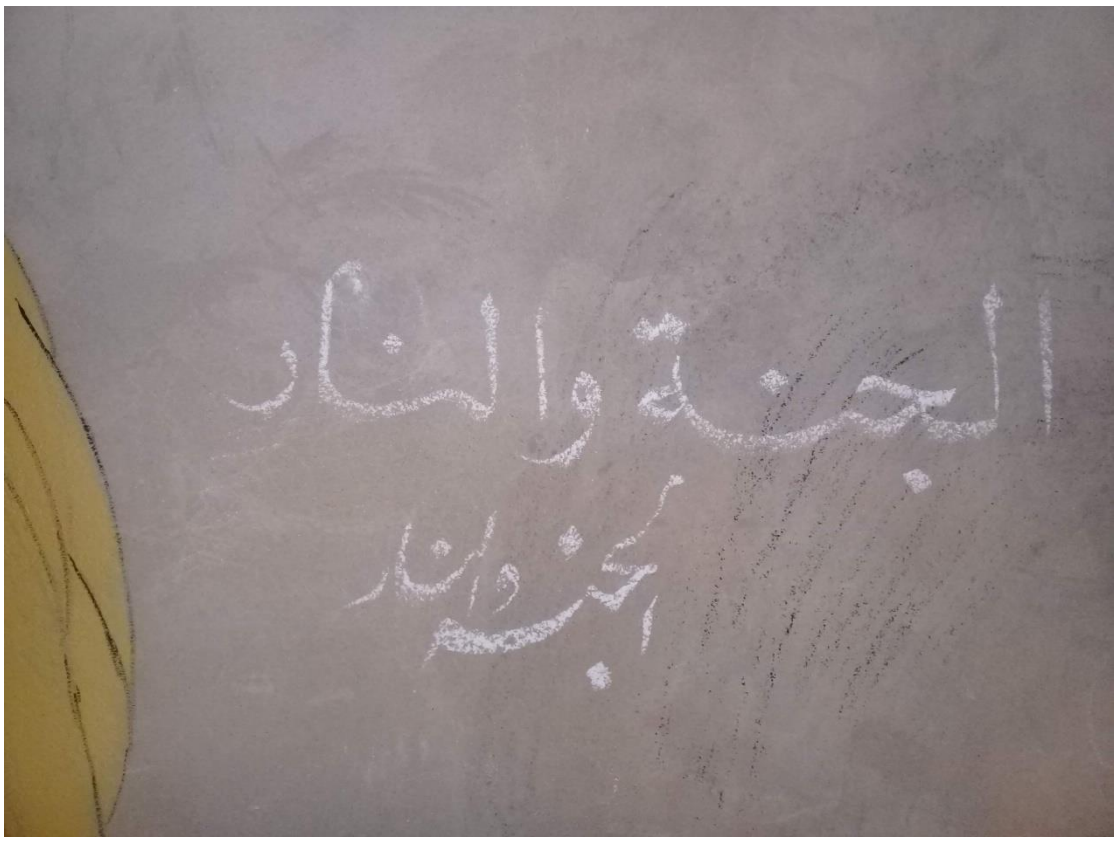

صور ملتقطة من بن عبد المالك رمضان

صور ملتقطة من حي الحرية

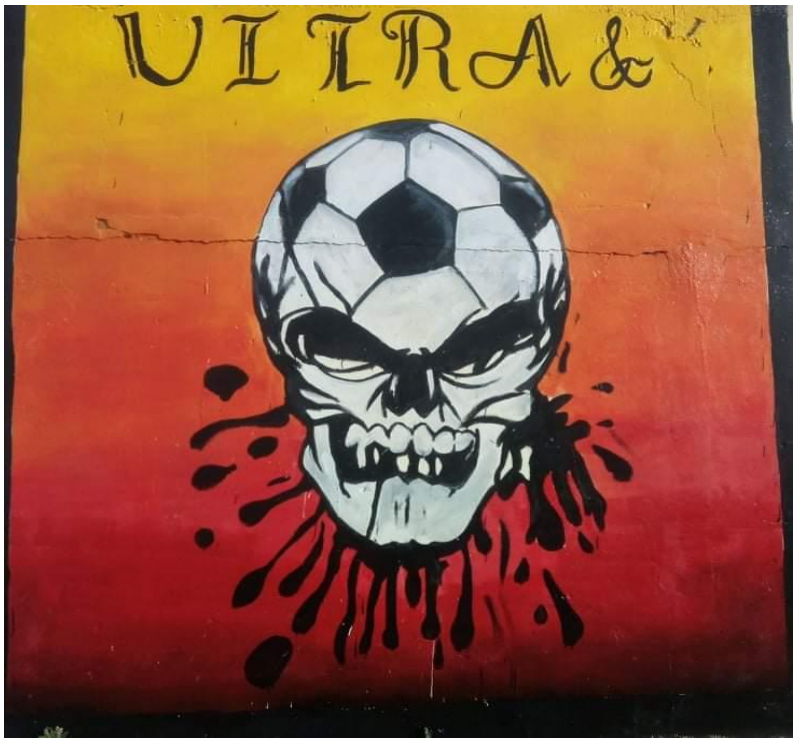

صور ملتقطة من عين تادلس

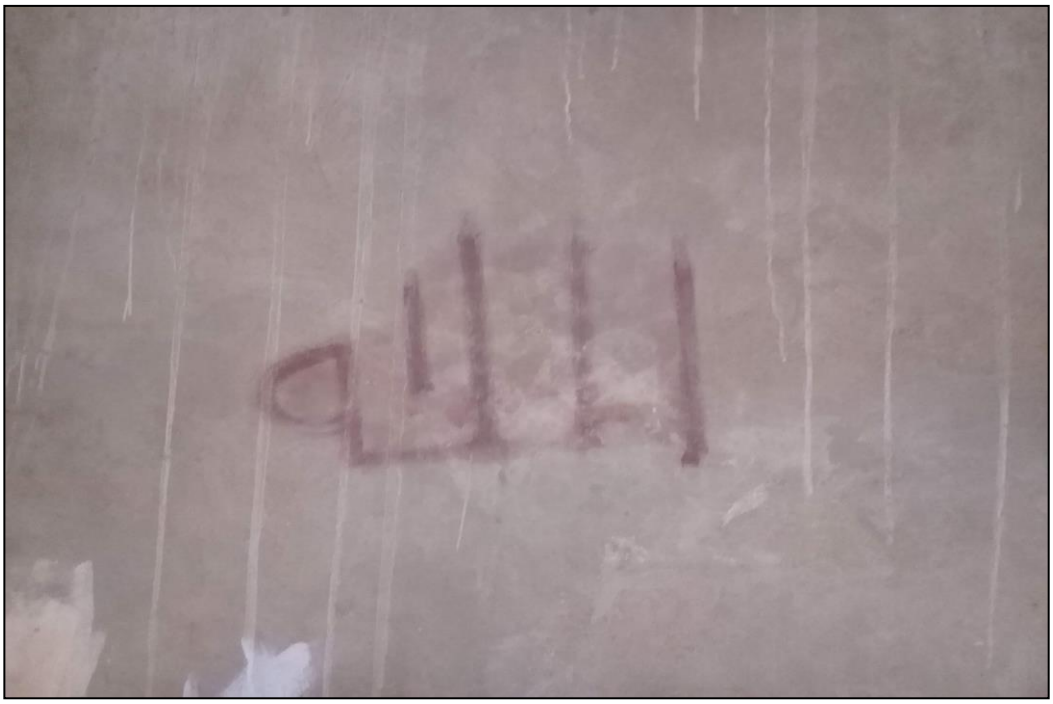

صور ملتقطة من حي300 مسكن

صور ملتقطة من ميناء مستغانم

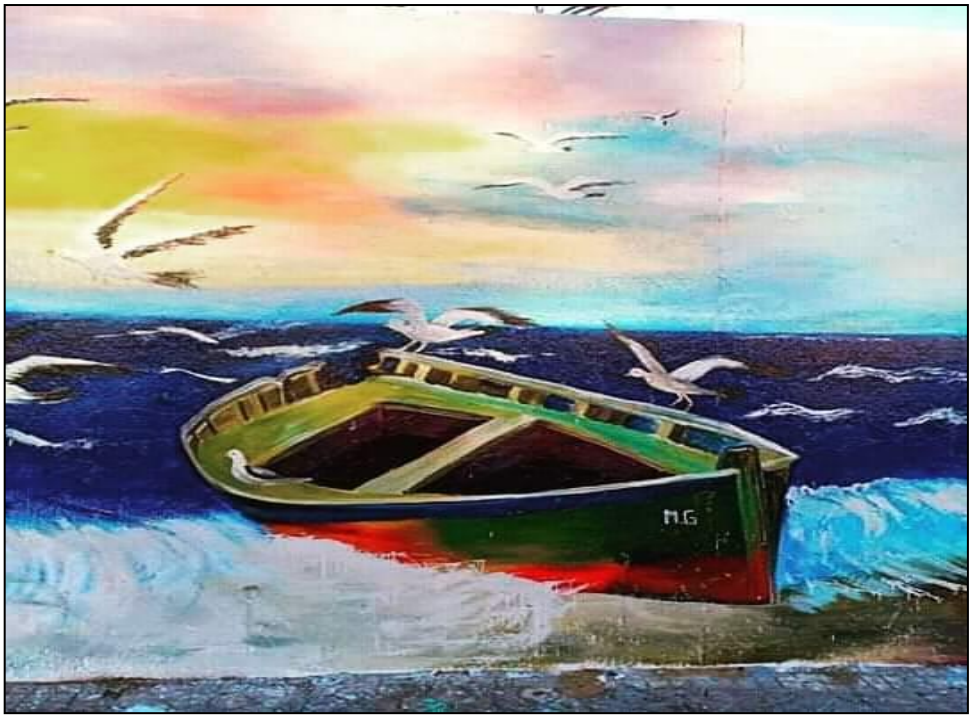

صور ملتقطة من سيدي علي

صور ملتقطة من السوق المغطاة وسط المدينة

دليل المقابلة:

الفاعل:

- السن، الجنس، المستوى التعليمي، المهنة، مكان الإقامة.

- منذ متى بدأت تمارس الكتابة؟

- لماذا تمارس الكتابة الجدارية؟

- هل تلقيت تكوينا فنيا أو تعليميا خاص ؟ هواية.

- هل تملك فكرة عن الكتابة الجدارية و أنواعها ؟ هل بإمكانك شرح ذلك؟

- ما هو الأسلوب الذي تعتمده TAGأو GAT ؟ و لماذا؟

- ما هي الأدوات التي تستخدمها و لماذا ؟

- ما هي الأماكن التي تختارها للكتابة ؟ محل إقامتك أو مكان بعيد؟

- ما هو السند الذي تعتمده ؟ و لماذا ؟

- ما هي المواضيع التي تعالجها في الكتابة ؟ و لماذا ؟

- هل هناك مناسبات خاصة تدفعك للكتابة ؟ و ما هي ؟

- ما الذي تريد إيصاله للآخرين ؟ أم كتاباتك ليست موجهة لطرف آخر ؟

- هل تمارس الكتابة فرديا أو بشكل جماعي ؟ و لماذا ؟

- هل تترك إمضاء خاص بك ؟ ما نوعه ؟ لماذا ؟

- ما هي ردة فعل الأشخاص الذين يصادفونك أثناء الكتابة ؟ كيف تصفها ؟ لماذا؟

المجتمع:

السن، الجنس، المستوى الدراسي، مكان الإقامة.

- ماذا تعرف عن الكتابات الجدارية ؟

- كيف تنظر إليها ؟ و لماذا ؟

- هل مارستها من قبل ؟

- أين تجد هذه الكتابات داخل المدينة ؟

- ها تعرض منزلك لنوع من الكتابات ؟ هل هذا يضايقك ؟

- من هم الممارسين لهذه الكتابات ؟ و ما هي المواضيع التي يطرحونها؟

- ما رأيك بما يقومون ؟

جدول يمثل متغيرات معطيات المبحوثين:

المبحوث	الجنس	السن	المستوى التعليمي	المهنة	مكان الإقامة
م رقم 1	ذكر	27 سنة	جامعي	مساعد محضر قضائي	حاسي ماماش
م رقم 2	ذكر	37 سنة	جامعي	موظف	سيدي علي
م رقم 3	ذكر	43 سنة	باكالوريا	موظف	حي السلام
م رقم 4	ذكر	21 سنة	4 متوسط	بطال	حجاج
م رقم 5	ذكر	41 سنة	جامعي	عون حماية	حي الحرية
م رقم 6	ذكر	24 سنة	جامعي	طالب	حاسي ماماش
م رقم 7	ذكر	22 سنة	جامعي	طالب	عشعاشة
م رقم 8	أنثى	40 سنة	جامعي	مربي شباب	بن عبد المالك رمضان
م رقم 9	ذكر	19 سنة	4 متوسط	بطال	سيدي لخضر
م رقم 10	ذكر	31 سنة	1 متوسط	تاجر خضروات	حي الهانة
م رقم 11	أنثى	40 سنة	جامعي	مديرة	حجاج
م رقم 12	ذكر	20 سنة	3 ثانوي	بطال	حجاج
م رقم 13	أنثى	34 سنة	3 ثانوي	موظفة	حي بيموت

م رقم 14	أنثى	20 سنة	3 ثانوي	طالبة	سيدي علي
م رقم 15	ذكر	26 سنة	جامعي	موظف	شمومة
م رقم 16	ذكر	27 سنة	3 ثانوي	موظف	بن عبد المالك رمضان

قائمة المراجع والمصادر

المراجع :

قواميس:

- قاموس المعاني ، فرنسي . عربي، عربي . فرنسي .

مراجع باللغة العربية:

- المنجي الزندي، ثقافة الشارع: دراسة سوسيوثقافية في مضامين ثقافة الشباب، الطبعة الأولى، مركز النشر الجامعي، تونس2007 .

- خليل أحمد خليل ، مبنى الأسطورة ، بيروت دار الحداثة 1979 .

- أحمد زايد ، تاريخ الخط العربي و أعلام الخطاطين ، بدون طبعة ، دار الفضيلة القاهرة ، مصر 1998 .

- كامل حيدر ، منهجية البحث الأثري و التاريخي ، بيروت ، دار الفكر اللبناني ط1، 1995 .

- حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، مشكلات المدينة، دراسة في علم الاجتماع الحضري. الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط3، 2002

– حميدة عمراوي، في منهجية البحث العلمي، جامعة قسنطينة، دار البحث للطباعة و النشر ط1 1985 .

– عامر نورة ، التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس وعلوم التربية، تخصص علم النفس الاجتماعي– جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 2006/2005.

مراجع باللغة الفرنسية:

rohan.m.paris68: graffiti, posters. Newspapers. Ndpofthe .rent

Tag sur le rur de berlin: http://ww2.ac.poitires.fr/ia16-pédagogie/IRG/PDF/Graffiti.pdf

- ABELL.F.Buckley.B1977.the hand Writing on the Walls.Toward.a sociological and psychological of craffiti Greenwood.wespor.

- yankel fijalkow.sociologie de la ville –paris-la découverle.2002

- the free dictionary.http://www.thefreedictionary.com/stencil.

- m.si hamdi nacer- la mise en mots a travers le graffitis et les slog ans murausc dans la ville de tizy-ouzou mémoire de magistére-unv.mouloud mammeri de tizy le 06mars 2014.

m.si hamdi nacer- la mise en mots a travers le graffitis et les slog ans murausc dans la ville de tizy-ouzou mémoire de magistére-unv.mouloud mammeri de tizy le 06mars 2014.

- magali bon moreau- le graffitia fraibourg.

الرسائل الجامعية:

– كريم محمد ، الكتابات الجدارية دراسة سوسيولوجية بمدينة مستغانم رسالة ماجستير في علم الاجتماع و الاتصال، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم2012/2011.

– عمران العيب ، خربشات الثورة الليبية ، معهد الدراسات العربية ، ليبيا 17مارس2013.

– منصور مختار ، الإعلام الرسمي و الإعلام الغير رسمي: الكتابة الجدارية نموذجا ، أطروحة دكتوراه قسم علم الاجتماع ، جامعة وهران 2004/2003 .

- جبار كنزة ، إتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية ، دراسة ميدانية لعينة من الطلبة الجامعيين ، مذكرة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر باتنة 2014/2013.

- تليلي حسان ، إعلامنا المعتل ، المنشورات الجامعية و العلمية ، باريس.

- منصور مختار ، الإعلام الرسمي و الإعلام الغير رسمي: الكتابة الجدارية نموذجا ، أطروحة دكتوراه قسم علم الاجتماع ، جامعة وهران 2004/2003 .

- مصباح بوطبة، مضامين الكتابات الخربشية لتلاميذ المرحلة الثانوية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، 2018/2017 .

- مداني محمد، بوعمرة توفيق، الحضرية منظور محلي، مذكرة ماستر في علم الإجتماعي مدن و تنمية، جامعة عبدالحميد ابن باديس مستغانم، 2018/2017.

- فتيحة لبني، تحليل سوسيولوجي للواقع الاجتماعي الجزائري من خلال الكتابات الحائطية إشراف عبد الغاني مغربي، شهادة ماجستير كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 2005/2004.

- **المداخلات العلمية:**

- جابر نصر الدين ، إبراهيمي الطاهر (9-10 مارس 2003) دراسات العنف الرمزي في ضوء الكتابة الحائطية – مداخلة ضمن الملتقى الدولي الأول "العنف و المجتمع" عين مليلة-الجزائر- دار الهدى و النشر للطباعة.

المجلات والجرائد:

- إبراهيم خضير ، الجداريات ، تشويه للجمال و السمعة ، مجلة عكاظ العدد 3677 ، مكة المكرمة ، السعودية ، 12جويلية2011.

- بوعلام باي ، فعالية الغرافيتيا النضالية الهوياتية ، خلال عهد الاستعمارالجزائر نموذجا – مجلة الإنسان و المجتمع العدد 08 – جامعة تلمسان – جوان 2014.

- هاني جورج ، الغرافيتي كتيبة البخاخين ، مجلة الدوحة ملتقى الإبداع العربي و الثقافة الإنسانية ، العدد 57 مصر ، يوليو 2012 .

- أحمد الزعواني ، على جدران الأبنية و أسوار المؤسسات العمومية

والفضاءات المهمشة ، الكتابات الحائطية عند المغاربة و الطابوهات المحرمة مجلة الهدهد ، العدد 10432 ، 20جانفي 2014 .

– إبراهيم خضير ، الجداريات ، تشويه للجمال و السمعة ، مجلة عكاظ العدد 3677 ، مكة المكرمة ، السعودية ، 12جويلية2011 .

– يوسف غزاوي، الغرافيتي فن شعبي محتج و صوت المهمشين، جريدة السفير، العدد 1494.لبنان.7 جوان 2014.

المواقع الالكترونية:

– الكتابات الجدارية في التجربة و الممارسة الإنسانية ، موقع المركز الفلسطيني على شبكة الانترنت . http/www. Palestine-info/arabic/books/shearet/shear4.htm

– د عمران القيب، خربشات الثورة الليبية ، قناة العربية للنشر ، طرابلس ليبيا ، 17 مارس 2013 .

– إبراهيم محمد و طارق محمد شعارات الإنتفاضة – دراسة و توثيق المركز الفلسطيني للإعلام – كتب و إصدارات .

– المركز الفلسطيني للإعلام 24 ديسمبر 2012.

. http/www. Palestine- info/arabic/books/shearet/ shear4.htm

– مدونة سيل بدايتي مع الجرافيتي –من الصفر إلى الاحتراف–فصل1 .

- nseal worldspress.com.

http/www. Ahewar.org/debat/showart.asp?aid=150273.

حسين.16أكتوبر 2008

http//pulpit.alwatanvoice.com/articles/2010/10/15

211815.html./عبد الحليم.14أكتوبر 2009

– .http://www.a/wastnews.com/1/news/read/716.31/1htnl

الجمري 17 أفريل 1999.

http://www.alwatanvoice.com/arabic/neus/2005/01/08/15610

.html.الصالح 08 جانفي 2005.

أنس- http://elahdath.net/indesc.ph p/sociol/20742.html. 04ماي

- la clotte .1996 p 919.2013

البقاعيhttp://www.ahewer.org/debat/show.art.asp?aid=26837.

20أكتوبر 2004.

http://www.a/houdhod.com/articlees/10432/1...../page1.htm

االزعواني 20 جانفي 2014.

http://wwwnavideshahed.com/ar/indesc.phr?page=definition8

uid=1999472. قدياتلو 08 سبتمبر 2013.